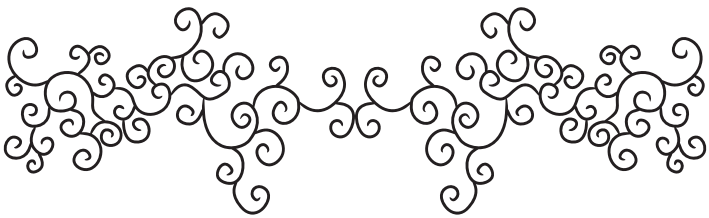

سيرة الزكية والحمدة

كتابة

محمد فرحات

الناشر

دار جوامع الكلم

١٧ ش الشيخ صالح الجعفري

القاهرة ـ الدراسة ـ ت: ٢٥٨٩٨٠٢٩

إهـــداء

إلـى السـائرين فـي دروب العشـق،
طوبـى لكـم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

رجل الله

[مِّـنَ الْمُؤْمِنِـينَ رِجَـالٌ صَدَقُـوا مَـا عَاهَـدُوا اللَّـهَ عَلَيْـهِ]

" اللهم صلّ سلّم بارك على نورك الذاتي وسرك الساري في سائر الأسماء الصفات "

سيدي أبو الحسن الشاذلي

هذا الذي يعرف العشـــاق طلـعته

ابـن "الزكيـــة" في الآداب والكـرم

الحب دينـــــه والإخلاص شِـــرْعَتُهُ

والصدق ديدنه في الصـمت والكلم

ورد الصـــــلاة عـلى النبـي أورده

مـوارد الآل في المحـــفوظ مـن قِـدَمِ

إن يخـفَ نـوره عـن قلـب بـه مرض

فالله أخفـــاه غـــــيرة على الحُرُم

نعم يغار على الأحبــــاب خالقــــهم

وكيف لا وهمــو في النــاس كالحَرَم

أما قبل

حين يكون الرجل رجلا ربانيا عاليه من رضا الله نور لا يكاد يخلو منه رسمه أو سمته أو صمته أو منطقه، فمن أين للغة أن تعادله نورا بنور ليمكنها وصفه، بل من أين للعين أن تحيط بنعمة الله الباطنة فيه وهي أعجز من أن تحصي نعمته الظاهرة عليه. إن رجال الله لا يعرف قدرهم إلا الله. هو، سبحانه، هداهم لما أقامهم فيه، واجتباهم لما أنعم عليهم به، "وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ" صدق الله العظيم. تتأمل حيواتهم فتتعجب من طرقهم إلى الله كيف تنوعت!! وتفكر في مقاماتهم منه فتندهش كيف تفاوتت!! ثم لا يقاس هذا أو ذاك إلى مشقة تكلفوها، ولا إلى كثرة صلاة وصيام تنفلوها، بل

إلى هذه المضغة التي يصلح بصلاحها كل شيء ويفسد بفسادها كل شيء: القلب. وفريضة القلب الحب ونافلته الصدق والإخلاص، فإن أتم الله على قلب عبده المجتبى ما افترضه عليه وحبب إليه التنفل عليه، صار عبدا ربانيا في مقام "كن فيكون". ومنهم، من أكابرهم، من يستحي من كلمة ربه فلا ينطق بها لسانه ولا تمر على قلبه، فيقولها ربه عنه ويحقق فيه وعده له... هو ذا التصوف الطريقة والمنهج، فأنى يؤفكون!!

[١]

هنا أهل البيت

كل المسلمين على اختلاف مشاربهم مذاهبهم متفقون على مكانة أهل البيت في دينهم، فهم لا يختلفون على فريضة حبهم، إذ هو أمر معلوم من الدين بالضرورة قرآنا وسنة. وكل المسلمين يرددون الآية الكريمة " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"ويعرفون الأحاديث الصحاح التي بينت من هم أهل البيت، لكنهم يعرفون ظاهرا من الآيات والأحاديث لا يتجاوزونه، ولو أنهم توقفوا أمام لغة آية التطهير وأفعالها المضارعة: "يريد ــ يذهب ــ يطهر" وجميعها مسندة إلى المولى عز وجل، لعرفوا ديمومة هذه الأفعال الربانية حتى قيام الساعة، والحكمة من ذلك أنهم عليهم السلام مظهر رحمة الله التي جعلها علة رسالة جدهم "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ". ولما وسعت رحمة الله كل شيء، وسع رسول الله صلى الله عليه آله سلم كل شيء (العالمين)، وكانت هذه السعة ميراث أهل بيته منه، فهم "كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق"... (الحديث) ويسألونك عن التصوف، قل "سفينة نوح".

[٢]

نعم يا أمي

بينما يتجادل المحسوبون على الثقافة والفكر في تعريف التصوف ما هو، ويكثر الخلاف ويعلو الصخب ويذهب كل في طريق، غالبا ما يكون هناك بعض العاديين يعكفون على قلوبهم يطهرونها لنظر الله فيها، رزقهم الله من يرشدهم ويأخذ بأيديهم، والسعيد السعيد منهم من يكون شيخه منسّبا لحضرة نور الوجود صلى الله عليه وآله وسلم، والأسعد منه من تعهدت تربيته واحدة من سيدات بيت النبوة فقربته منها، ونادته يا ولدي، فلباها نعم يا أمي. ومع كل نداء وكل إجابة يتشرب قلب ولد العهد بر أم عهده، حتى إذا امتلأ قلبه برا فاضت عليه النفحات وأفاضها على من حوله. وتسأله، وكأنك ستحرجه، أراك لا تذكر أم مولدك كما تذكر أم سلوكك، فيجيبك على

البداهة بلا تريث: إنما أدعو الله قائلا: اللهم ارحم أمي بأمي... وإذن، ما التصوف؟ الإجابة ما عاينتها لا ما قرأتها: التصوف "عمي العمدة" المدعو "إبراهيم العشماوي" الذي ربته فأحسنت تربيته الشريفة الحسيبة النسيبة الحسينية السيدة الزكية "زكية عبد المطلب بدوي".

[٣]

القاهرة ..
"أحب الله من أحب حسينا"

ويمد سيدنا الحسين عليه السلام موائده لزواره ومحبيه وأبناء السبيل، فلا يكاد يخلو زمن من الزمن من أحد من نسله يقوم على عادات كرام الدنيا والآخرة أهل االبيت، في إطعام الطعام "مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيراً" عملا خالصا "لِوَجْهِ اللَّهِ" تعالى لا يبتغون عليه من غيره سبحانه "جَزَاءً وَلَا شُكُورًا". ويكون الوقت لحفيدة سيدنا الحسين السيدة "زكية عبد المطلب"، ويصطفي الله لها من خيرته من خلقه

من يقومون بتكاليفها، ويصطفي منهم جدها، صلى الله عليه وآله وسلم، لقلبها "عمِّي العمدة"، فمن قبل وكان لما يزل طفلا، وصف صلى الله عليه وآله وسلم نفسه له، في رؤيا، أنه "كفيل اليتيم" مضمنا إشارته أن عمي العمدة في كفالته. ولعل حفيدة حسينه (أنا من حسين وحسين مني) كانت على علم بهذا، فأوسعت "عمّي العمدة" قربا وحنانا، وأطلقت عليه، هو العامل البسيط في مدينة البعوث، لقب "العمدة". ويتنزل السر في قلوب محبيه، فيفسرون اللقب بـ"عمدة العشاق" ليسير، من بعدها، في الأفاق.

[٤]

" ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ"

مجاذيب الحق، عز وجل، نوعان بحسب نوع جذبتهم، فمجذوب من عقله معلن للناس، ومجذوب من قلبه مستتر عنهم إلا عن شيخه، و"عمي العمدة" من أهل جذبة القلب، حين جاء موعده سلم قلبه لأمه وتبعها. ولئن

سألت "عمي العمدة" متى يبدأ عمرك؟ لقال يوم وقفت بين يدي أمي. نعم صدق، فتلك كانت ساعة جذبة الحق له. لقد أتى أمه مرة واحدة ولم تتكرر إذ لم يغادرها بعدها أبدا حتى بعد انتقالها. سأله سائل من وجوه القوم: "متى آخر مرة كنت مع أمك فيها؟". أجاب على البداهة: "لحظة سؤالك"، ثم عقب: "وهل تركتها ليكون لي معها مرة أخيرة" ثم نظر إلى كفيه كأنهما صافحتاها للتو. إن لجذبات الحق، عز وجل، أسبابها كما إن لها مواعيدها. وأهلها لو كان الأمر إليهم ما استقدموها ساعة أدبا، وما استأخروها أخرى حبا وعشقا. قال تعالى مخاطبا سيدنا موسى (وأولياء الأمة المحمدية كأنبياء بني إسرائيل): " ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ"، وكأن لسان حال السيدة "زكية" يقولها لإبراهيم العشماوي "جئت على قدر يا ولدي"، وصوت من الغيب يتلو: "فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ".

[٥]

الحب .. وكأنه ورث عنها قلبها

من أين أتى هذا الرجل "عمي العمدة" بكل هذا الحب الذي يتألق في وجهه؟ وهذا الحنان الذي يشع من عينيه؟.. هذا الرجل الهاش الباش البسام في وجوه كل جلسائه، حتى كأنهم لا يجلسون معه وإنما يجلسون في قلبه. ويخجل من تحديقنا بنور محياه فيقول مبتسما "ألم تروا وليا جميلا من قبل!!" ثم ينثني إلى ذكر أمه، أو ترديد بعض شعره فيها وفي جدها صلى الله عليه وآله وسلم... نعم هذا العامل، كما كل الأكابر، يقول الشعر ويضمّن سر ولايته فيه، فإن أخذته بوصفه شعرا فقط أدهشك جماله، وإن تلقيته بوصفه سرا كبرّت الله لما حواه من علم. إن شعر عمي العمدة آية كرامة أمه، عليها السلام، فيه قد أخلصته به على كثرة المتعلمين حولها، لكن أين هم من قلبه وقلبها!! لا يجد

"عمي العمدة" كلمة تصف كل أمره من بداية سعيه في خدمة أمه إلى اليوم إلا كلمة واحدة: "الحب"... وهل تمنح الأم ابنها إلا الحب!! هو، رضي الله عنه وأرضاه، ورده الحب، وخدمته الحب، وسعيه بين مقامات أهل البيت الحب. لماذا؟ لأن الحب طريق جامع ونهج واضح وسراط مستقيم، وبالرغم من هذا فقليل هم المحبون.

[٦]

بين "عمي العمدة" وجريج الراهب

قال جريج الراهب لنفسه، إذ نادته أمه: "يارب، أمي وصلاتي" وأتم صلاته فكان ما كان من دعاء أمه عليه واستجابة الله دعاءها. بينما دخل "عمي العمدة" في صلاته فنادته أمه فقطع صلاته ملبيا نداءها: "نعم يا أمي". ويعود ليكبر تكبيرة الإحرام ويدخل في صلاته، فتنادي الأم عليه، فيخرج من صلاته ملبيا:

"نعم يا أمي". ويعود إلى صلاته حتى إذا أوشك ينهيها نادته أمه، ليخرج من صلاته كالمرتين السابقتين: "نعم يا أمي"... لا يعرف "عمي العمدة" جريج الراهب ولا أمه، ولعل جريج الراهب وأمه يعرفان "عمي العمدة" جيدا، ولعل أم جريج قالت له: هلا فعلت مثل هذا الرجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فكُفيت شر دعائي عليك!! لكن ما أقطع به يقينا أن السيدة "زكية" سلام الله عليها كانت تعرف ما تفعل، ويدعو قلبها لولدها العمدة أن يحسن صنعا، وإذ نجح ولدها في الاختبار حاز المقام الذي كان لجريج الراهب لو أنه نجح في اختبار البر. ولم تقل له السيدة أمه ما جرى، ولا سأل ولدها العمدة عنه، فما رأى لنفسه مقاما حتى اليوم أفضل من خدمة أمه وضيوف الله عند أمه. وهكذا يُنال بالبر بأمهات أهل بيت النبوة ما لا ينال بالصلاة، وهل تنفع صلاة مع عقوقهن!!

[٧]

"وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ"

للمخلَصين لحب سيدنا رسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته، من مكانته عند ربه، نصيب، بدءا من "وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ"، إلى "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ"، مرورا بإعلانهم في العالمين: "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ". وفي هذا المعنى، قال سيدي "علي بن محمد بن وفا"، أحد أكابر القوم رضي الله عنه وأرضاه، من قصيدته المشهورة بـ "أطع أمرنا":

ولا تعترضنا في الأمور فكل من .:. أردناه أحببناه حتى أحبنا

ينادى له في الكون أنا نحبه .:. فيسمع من في الكون أمر محبنا

فمن حميثرا سلام الله على ساكنها، إلى سيناء رضي الله عن وليها الشهيد سيدي أبي حراز، أخلص "عمي العمدة" سيره حتى رفع الله

ذكره ونودي له في الكون بالمحبوبية، فوفد إليه من كل مكان وجوه الناس الرئيس، والوزير، والعالم الرباني، والصالحون، وشيوخ الطريق، فضلا عن أهل بيت أمه السيدة زكية عليها سلام الله. كما وفد السالكون والمحبون وذوو الحاجات. وسيدي، "عمي العمدة"، لا يزيد في لقاء هؤلاء وأولئك على رؤية فضل أمه عليه فيما صار إليه أمره.

[٨]

رَجلُ الله ..
"وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا "

يهمس لي رجل الله "عمي العمدة": "هذه الأمة كلها مرحومة بنبيها وأهل بيت نبيها، صلى الله عليه وعليهم وسلم، لكني لا أقول هذا للجميع". وأبتسم مستذكرا في نفسي قول الصحابي: "ألا أبشر الناس؟" فيرد رحمة الله للعالمين: "إذن يتكلوا". ولذا كان أغلب حال "عمي العمدة"

الابتسام، وكأنه يحتبس في قلبه فرحا بربِّه يستحي منه فلا يظهره، لكن ملء عينيه هذا الفرح برحمة الله . هي مشكاة النبوة يجري لسانه بنورها، من حيث يدري ولا يدري، فما كان لكلمات الله أن تظل في معانيها حبيسة اللغة لا تتجسد في ملكوته رجالا هم حقُّها وحقيقتُها، إذ هم بالله في حركاتهم، وبالله في سكناتهم. سكنوا إلى الله فاطمأنت به قلوبهم، وخشعت له جوارحهم، فصاروا آيته، عز وجل، بين خلقه. إذا رؤوا ذُكِرَ، وإذا ذُكِرَ تنزلت رحماته على المستحق وغير المستحق، إذ "همُ السعداء لا يشقى جليسهم". ويكأن الله نصبهم لرحمته في خلقه، فمن نظر إليهم رحمه الله، ومن نظروا إليه رحمه الله، ومن ذكرهم رحمه الله، ومن ذكروه رحمه الله "وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ".. لمثل هذا أشرب الله قلب عمي العمدة حب نبيه وأهل نبيه وأمه "الزكية"، عليها سلام الله ورضوانه، حتى

صار رحمة من رحمة الله للعالمين صلوات الله وسلامه عليه وآله.

[٩]

مقام "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"

نعم، فالحب مقام له أولياؤه المخصوصون به، وهم أخفى أولياء الله في خلق الله، بالرغم من ظهورهم واجتماع قلوب الناس عليهم، إلا أن حقيقة ولايتهم باطنة تُتَوَسّمُ علاماتها، ولا يُحاط بحقيقتها، اللهم إلا "لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ" كقلوبهم "أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" فحُسِبَ عليهم. تجد كل الأولياء تحت حكم المشيئة ساكنون إلا هم، فإنهم تحت حكمها محبون. يترقون وهم، بحبيبهم، عن كل ما سواه محجوبون، حتى صار "النظر في وجوههم عبادة" وهم لا يعلمون... وأستحي مما يمور في قلبي، وأنا جالس إلى "عمي العمدة"، فأكتفي بالنظر إلى وجهه الشريف فحسب، وأحبابه

يدخلون عليه وهو يرحب بهم ويجلسهم. ويكثر الناس ويتسع المجلس برغم ضيق المكان، فإذا التقت أعيننا ابتسم قائلا "إنت وبس اللي حبيبي"، فأصلي وأسلم على الحبيب المحبوب وآله، لتلمع مقلتاه بنور مقصده، وكأنه يقول: نعم، هو هو صلى الله عليه وآله وسلم. لقد اجتهد القوم في صلواتهم وأورادهم، واجتهد عمي العمدة في خدمتهم حبا وكرامة لمولانا الحسين وابنته السيدة "زكية" عليهما السلام والتي عرفت منه ما عرفت فقصرت ورده على الصلاة على حضرة نور الكونين، فالتبست الخدمة بالورد، فلا يقدم ماء ولا طعاما إلى أحباب أمه إلا بالصلاة على النبي، حتى استوى في مقام "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" عمدةً للعاشقين، و"هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ".

أما قبل

فليس هذا الكتاب سيرة ذاتية، ولا قصة تاريخية، وإن كان فيه من هذه وتلك، إلا أنه يبقى أرقى من هذا التصنيف الساذج، وهل يمكن تصنيف تجربة روحية بطلتها عقيلة هاشمية جمع الله عليها أحبابا ومريدين من شمال البلاد وجنوبها، فربت وعلمت وأفاضت من شرفها النبوي على مريديها كرامات ظاهرة وباطنة، ثم اصطفى الله لها من بين هؤلاء جميعا ولدها الذي قدر شرف نسبها حق قدره. لقد رأى فيها جدها، صلى الله عليه وآله وسلم، فعامله فيها فكانت الشريفة الحسينية السيدة "زكية عبد المطلب بدوي" أحب إليه من أهله وولده وماله ونفسه التي بين جنبيه، عن تسليم ومن أول لحظة. ولولا ذكرها ما كان عمي العمدة، ليرضى بكتاب عنه، لكنه قبل لأمه ولذكر أمه. وأما كاتبنا الجميل "محمد فرحات"، فقد

أحسن الإنصات لعمي العمدة، وأحسن الصوغ اللغوي لما أنصت إليه، وإن أبدى عمي العمدة تحفظه من أسلبة التجربة فلعلها تأخذ القارئ إلى جماليات الأسلوب فيغفل عن جمال التجربة في ذاتها. وإذا كنت مع تحفظ عمي العمدة مسلما له برأيه، فإني مع الكاتب فيما أتاه من أساليب في سرده، فلا توجد صياغة في الدرجة الصفر من الأسلوب شفاهة كانت الصياغة أو كتابة، فما تلبست تجربة باللغة إلا كان الأسلوب قدرها المقدور. شكر الله لك أخي محمد فرحات كتابتك وجعلها في ميزان حسناتك، ومتع الله عمي العمدة بالصحة وأنعم علينا بطول عمره وحسن صحبته.

الملثم البدوي

(أ.د.محمد فكري الجزار)

«١»

تبدأ قصة سيدي إبراهيم العشماوي «سيدنا العمدة» من العام ١٩٥٥، في نهايات العقد الثاني من عمره المديد الصالح بإذن الله، حيث كان مولانا حينها موظفا في مدينة البعوث الإسلامية التابعة لجامعة الأزهر الشريف وأحد أدوات قوة مصر الناعمة حينئذ، حيث كانت تستضيف طلبة العلم الشرعي المنتسبين للأزهر من شتى بلدان العالم الإسلامي، وكان سيدي إبراهيم حينئذ يمر بأوقات عصيبة حيث توفى ابنه البكري، ومرض ابنه الثاني «مصطفى» بنفس مرض أخيه الراحل، وكان صديقه» عم أحمد» يداوم على إعطاء ولده الحقن كل ليلة، وفي ذات ليلة دعاه صديقه لمولد ستنا زينب، وكأنه قد انتشله من بحر هموم استبدت به

وهو الريفي البسيط المكلوم بوفاة ابنه والمنتظر قضاء ربه في ولده الثاني، لم يكن الشاب إبراهيم على علاقة بالتصوف وأهله حينئذ، ولا صاحب علاقة وطيدة مستقرة بالدين ذاته، ذهب عم إبراهيم إلى مولد ستنا زينب ..

ليهمس له صديقه مخبرا إياه بوجود واحدة من سيدات آل البيت صاحبة خدمة قريبة منهم، يرحب عم إبراهيم بالذهاب إلي خدمة ستنا زكية المطلبية الحسينية، يدخل عم إبراهيم مع جماعة من الأصحاب، ويجلس خجلا بطرف قصي ودموع الندم على ما فرط في جنب الله تخنقه، فتنادي ستنا زكية على «عم أحمد «صديق «عم إبراهيم»..

وتساءله « من جاء معك يا أحمد « فيقول لها»فلان» فتقول « ومن يا أحمد؟ « فيقول «فلان» فتقول» ومن؟» فيقول « واحد

منـوفي اسـمه إبراهيـم العشـماوي» فتأمـر بـأن يدنـو مـن مقعدهـا، ويـدور حـوار بينهـما عـن حالـه، فيشـكو لهـا عـم إبراهيـم مـن أحـوال نفسـه ومـرض ولـده، فتبتسـم سـتنا زكيـة وتأخـذ رشـفة مـن كـوب شـاي بيدهـا وتعطيـه مـا تبقـى وتقـول « أشرب يـا ولـدي فيهم البركة بإذن الله». وتخبره سـتنا عـن عنـوان محـل إقامتهـا بسـيدنا الحسـين وتوصيـه بتكـرار القـدوم عليهـا.

***

«٢»

انصرف عم إبراهيم العشماوي من مقر خدمة ستنا زكية، يشعر وكأن روحا جديدا تلبسته، وكأن تلك الثمالة التي شربها من كوب ستنا زكية قد استغرقته سكرا من دن خمر قد عتقت على نيران العشق من أزل الأزل، لم يرد عم إبراهيم مغادرة ستنا إلا الثانية صبحا بعدما تذكر أن عليه مناوبة الإشراف على إفطار الأزاهرة الأفارقة قاطني مدينة البعوث الإسلامية، شئ ما يجذبة إلى سيدنا الحسين، يهرول مسرعا نحو المقام ،يلقي السلام، تغسل روحه دموع شوق لمعشوق جديد يستبد به يأخذه بعيدا عن أحزانه وهمومه، بعيدا ليستقبله سيدنا الحسين محتضنا ساقيا له من شراب الأفراح، يستيقظ من ذلك كله بتكبير مؤذن سيدنا الحسين

لصلاة الصبح.

ينصرف إلى منزله في حي «عبدو باشا» بالعباسية وكأنه يطير بجناحين، يسير على قدمين جديدين، يدلف منزله فإذا بابنه مصطفي يتقافز لعبا وفرحا بقدوم أبيه وكأنه لم يمس يوما بيد السقم الثقيلة، تستقبله زوجه وعليها خمار الصلاة لتحكي له ما أصاب ابنهما من تبدل .

تنهمر دموع الفرح، ويخاف عم إبراهيم أن يحكي لزوجه ما حدث، يحمد الله، ويتعلل بقرب موعد عمله، وينصرف ثانية إلى بيت ستنا زكية بالحسين .

يلوح منزل الزكية تحتضنه مأذنة سيدنا الحسين وتربت عليه قبته الخضراء، يقترب من بابه الموصد خجلا من طرقه في تلك الساعة المبكرة المنهمكة في التسبيح، وإذا بستنا الزكية تفتح الباب

بنفسها وتهمس مبتسمة « إيه إللي جابك بدري كده يا ولدي ؟» ..

فيجيب عم العمدة باكيا « مش عاوز أسيبك يا أمي.»..

فتجيبه: « ومين إللي قالك أنك هتسبني، روح ياولدي لشغلك ولما تخلص أبقى تعالى ....»

تخطو ساعات العمل بطيئة، ما شعر بثقل خطوها إلا اليوم، يسرع إلى بيت الزكية، لتستقبله زوجته أم مصطفى، تعقد لسانه المفاجأة، فتخرج الزكية ضاحكة « أحضرنا زوجتك ياولدي بالحلة إلى هنا ...»

وينضم عم إبراهيم وزوجته إلى خدمة آل البيت ...»

***

«٣»

وكان سيدي « إبراهيم العشماوي « لا يطيق بعدا عن الزكية كان يؤرقه بعد مقر عمله في مدينة البعوث الإسلامية بالعباسية عن مقر خدمة ستنا بالحسين، وفي يوم دخل فضيلة سيدنا عبد الحليم محمود عليهم في مقر الخدمة وكان ساعتها عميد كلية « الشريعة والقانون « بمقر جامعة الأزهر القديم ب»الدراسة» المجاورة لسيدنا الحسين، وكانت رغبة سيدي العمدة دفينة لم يطلع عليها أحد، ولم يكن يعلم شخصية مولانا، فكل يوم يدخل عليهم في مقر الخدمة صنوف شتى أولياء ومشايخ وعمد ورجال دولة وطلبه ومجاذيب، هرول سيدي إبراهيم بالنفحة والتحية، وحينما دخل قالت ستنا لسيدنا عبد الحليم محمود «شوف

ياولـدي حاجـة ابنـي ده» وأعطـى لعـم إبراهيـم بطاقـة ليدخـل بهـا عليـه صبـاح اليـوم التـالي، لتقـضى حاجتـه وينقـل مـن مدينـة البعـوث بالعباسـية إلى كليـة اللغـة العربيـة في مجمـع كليـات الأزهـر القديـم بالدراسـة .

وكانـت بدايـة معرفـة وصداقـة بـين عـم إبراهيـم وسـيدنا الإمـام الأكبر فيـما بعـد، وحينـما يسـأله فضيلـة الشـيخ عبـد الحليـم عـن ورد الزكيـة، يخبره عـم إبراهيـم بـأن وردهـا «الطبليـة» يقصـد إطعـام الطعـام، فيبتسـم الشـيخ الجليـل ويقـول « نعـم الورد، نعـم الـورد»..

ثم سأله « وإيه تاني ؟ »..

فقال « جبر الخواطر»..

فقـال لـه الشـيخ «مـا عبـد اللـه بأفضـل مـن جبر الخواطـر»، ثـم قـال فضيلـة عبـد الحليـم محمـود « شـوف يـا إبراهيـم أمـك

الزكيــة هــي زينــب الوقــت.»
وكان عـم العمـدة يخـدم طيلـة الليـل حتـى ينـصرف الـزوار والمريـدون ويسـتيقظ لمصاحبـة سـتنا إلى سـيدنا الحسـين لصـلاة الصبـح.
وفي ذات صبـاح يخـرج سـيدنا إبراهيـم مـع سـتنا بعـد أداء صـلاة الصبـح فيقابلهـما شـيخ مجـذوب، ويقبـل يـد الزكيـة، فـلا يشـعر سـيدنا إبراهيـم إلا بيـده تطبـق بخنـاق الشـيخ المسـكين، فيضحـك المجـذوب وتضحـك الزكيـة مخلصـة إيـاه مـن يـد سـيدنا إبراهيم القويـة ..
ويقـول المجـذوب لسـتنا « مبروك عليـك ابنـك يـا سـتنا، فغـيرة المريـد عـلى شـيخه أول درجـات الفنـاء...»

***

«٤»

تمر الشهور، وكلما مر يوم ،كلما تفتح باب المحبة أمام وجه سيدي إبراهيم العشماوي، لا يزيد عن طرقة أو طرقتين، تقديم طعام لذي حاجة، أو شربة ماء بارد لسائل، تسبيحة أو استغفار، كلهم يفعلون ذلك، فما السر في الفتح المتسارع، السر في الإخلاص والفناء في مراده ستنا زكية، منذ تتويجه ابنا لستنا أمام سيدنا الحسين وهو لايبارح ساحتها إلا لعمله أو لبيته، وكل ساعة يمنح سرا من كلمة، نظرة، إشارة، وكلما صان السر وحفظه كلما زادته ستنا سرا فوق سر ،فاق سيدي إبراهيم كل أبناء ستنا حتى الذين سبقوه من سنين .. هي رحلة سنوية تقوم بها ستنا وأولادها، هناك في أحضان جبال البحر الأحمر،

تقترب السماء جدا من الأرض، تمد يدك فتصافح الجوزاء أو تناجي القمر فيصب في عينيك من لجين أنواره، يقطعون المسافات عبر المدقات الصحراوية، بعد رحلة طويلة بقطار الصعيد الذي يسلمهم الاقصر، فيركبون الركائب من أدفو حتى حميثرا، رحاب سيدي أبى الحسن الشاذلي، ولما شرع قطب الأقطاب وكهف ملجأ الطلاب في رحلة الحج، بشره النبي بلقاء ربه في وادي عيذاب حيث حميثرا، أما يرضيك يا أبا الحسن أن تقبض بأرض لم يعص الله فيها احد قط، ينصبون خيامهم ويضعون مياههم العذبة، وطعامهم الذي تزودوا به حينما مروا بقنا، ينزل عليهم البدو والضيف فيحضر مجالس ذكر تتوجها الزكية ويلهج فيها الذاكرون بأوراد الشاذلية، أمام روضة سيدي أبي الحسن والتي لم تزد ساعتها عن ضريح

فوقه قبة من أحجار الطين اللبن ... لم يكد سيدي إبراهيم ينهي الخدمة بمقر الزكية بالحسين ليلا، حتى تبشرة الزكية بمرافقتها رحلتها لقطب الأقطاب أبي الحسن، يطير عم إبراهيم فرحا، وتخبره أنه سيتخلف عنهم حتى يقوم بالخدمة حتى الظهر ثم يغلق الساحة ويلحق بهم عند «باب الحديد» حيث القطار .. ينهي عم إبراهيم المهمة متأخرا فاليوم كان مزدحما، يخرج طالبا مواصلة من سيدنا الحسين حتى باب الحديد، لكن ليس في جيبه سوى قرش صاغ واحد لو ركب الحافلة العامة لفاته القطار وفاتته رفقتهم، والتاكسي بخمسة قروش وليس معه غير قرش، ..يقف متحيرا ماذا عساه أن يفعل، يغمض عينيه فإذا بالزكية تبتسم مطمئنة، وإذا برجل يتكلم بلكنة صعيدية

سائلا عن الزكية ،» هي في باب الحديد..»
فيشير الصعيدي للتاكسي فيستقلاه ويصلا
قبل تحرك القطار بثواني، تستقبله
الزكية ببسمتها وتسائله « فين الصعيدي يا
إبراهيم؟» فيلتفت حوله فلا يجده..وكأنه
ما قابله ولا كلمه ولاركب معه التاكسي ....

***

«٥»

«وفي حميثرا سوف ترى»، قالها سيدي أبو الحسن الشاذلي مجيبا على ابن أخته سيدي المرسي أبي العباس، حينما تساءل متعجبا من ضرورة إحضار المسحاة والفأس والكفن والحنوط لرحلة حج اعتادوا عليها سنويا منذ نزوله مصر من بلاد المغرب. وحين خيموا بجوار مقام سيدي أبي الحسن وانهمك سيدي إبراهيم العشماوي في الخدمة، يستيقظ مبكرا لإشعال النار وتحضير طعام الإفطار وعمل الشاي والقهوة وتقديم نفحات أمه الزكية للوافدين على مولد سيدي الشاذلي، لا يقطع ذلك سوى الصلاة، حتى تنتهي الخدمة، غالبا، بعد صلاة العشاء، يرتدي سيدي إبراهيم قميصه الأبيض، يتوضأ، يتعطر ويصعد جبل «حميثرا» مختليا

بربه، مناجيا، يصلي ركعتين ثم يهيم في التفكر والذكر، ثم يصلي ركعتين وهكذا حتى يقرب وقت صلاة الصبح فيهرول لجلب ماء الوضوء للزكية من بئر سيدي أبي الحسن وهو ماء عسر، يميل للملوحة، وكانت قد نبهت عليه أن لا يأتي لها بماء حلو من ما أحضروه معهم من قنا، فهو خاص للشرب فقط، وبعد صلاة الصبح تبدأ الخدمة .

وكان للحرارة الشديدة والجهد الذي يبذله عم إبراهيم أثره الشديد على بشرته، فسأل أحد الأطباء الوافدين على الخدمة فأخبره بضرورة الاغتسال اليومي بماء حلو، لكن كيف له أن يغتسل بماء حلو والزكية تتوضأ بالماء الملحي...فإذا بالزكية تأمره بالاغتسال بالماء الحلو فيتعجب كيف علمت، ولكن فيم العجب وهي من هي وهو من هو !!

وكان سيدي العمدة يصعد ليلة جبل «حميثرا» في مواجهة الضريح، وليلة يصعد «الجبل الحزين» في ظهر المقام، وسمي حزينا لأنك لو دققت النظر في واجهته لشاهدت ملامح وجه رجل باكي مشكل من أحجار الجبل وانحناءته، أو لأن زوار سيدي أبي الحسن كانوا يفضلون صعود جبل حميثرا لسهولته، ويخشون صعوده لوعورته، ولكن سيدي إبراهيم كان يجبر بخاطر الجبل الحزين بقيامه الليل عليه، وكان الجبل يستقبله بفرح وحنو ويسهل لخطوه عليه،وفي غفوة نوم أخذته جاءه الأمر بلبس «الخيش»، رداء من التيل الخشن يستخدم لعمل الأجوله، صدع سيدي العمدة بالأمر، ونزل من الجبل، حينما هبت نسائم الفجر ...

وحينما اقترب بماء الوضوء، سمع صوت أمه الزكية في خلوتها وكأنها

تجادل مجموعة أشخاص « لا، لا ولدي لا يلبس الخيش ..»، « أنا الزكية بنت الحسين ولدي ما يلبس الخيش ..» تجمد سيدي إبراهيم بمكانه، وكاد يغشى عليه من فرط الدهشة، ولكن علام الاندهاش وأمه الزكية قد علا مقامها وقد تشفعت له بمجلس الأحكام ... يستأذن سيدي إبراهيم، فتستقبله الزكية بابتسامة حدب وحنو تذيب قلبه، فيبكي بنحيب..

تضحك الزكية « أمال ياولدي أنت فاكر نفسك قليل؛ ده أنت ولدي، ابن الزكية ..» وتناوله صديري من الخيش يلبسه تحت قميصه القطني الناعم، فقد جاء التخفيف ...

***

«٦»

تنساب مواكب المريدين، يحدوهم الشوق لابنة الحسين زينب الوقت، وبعد زيارتهم لجدها يسعون حثيثا للزكية، يتركون، طالبين الشفاء بتلك اللقيمات التي ينفحهم بها سيدي إبراهيم العشماوي، لم يكن يقدم اللقيمات فقط، بل نفحات من نوع آخر ابتسامة، كلمة، إشارة، دعاء مخلص، وهكذا لا يمر أحد لخلوة الزكية إلا عن طريق ابنها الهائم في سموات العشق والأنوار، تتلقفه مملكة الشعر مرحبة، ضارعة، بكلمات وأوزان وموسيقى، من أين جاءت؟!

تملكت الحيرة أهل الشعر وهم بالعشرات في بلاط الزكية، تتزاحم استفساراتهم «من أين جاء بتلك الروعة؟»، فيخفف من غيرة الشعراء ألق العطاء المنفوح

للعشماوي ،ويسلمون بإطراق ناصية لتلك الموهبة الشعرية الهادرة بلا تعلم أو دراسة أو تخصص ،فتهمهم شفاهم بهمس، تعلوه نفثات حسد يحتضر»فضل الله، ونفحة الزكية وقبل ذلك إخلاص محب...!» .

هي أيام المولد النبوي، تنطلق وفود زيارة النبي من مقر خدمة الزكية لمكة والمدينة، هي السفرة المباركة في معية الزكية ...يبيتون أياما في الخدمة لحين اكتمال اجتماع الأحباب.. عشرات من بقاع شتى يهرعون من صعيد المحروسة ودلتاها وعاصمتها وثغرها...لتتحول خدمة الزكية لحلقات ذكر لا تنقطع، مهبط الكرامات والأشعار والأنوار، وسيدي إبراهيم ينساب كالماء العذب بالطعام والشراب والأشعار ،ترمقه الزكية ،تلاطفه، ترفع يدها إلى السماء "ربي إن هذا ابني، نعمتك التي أنعمت، فأدمه ...»

وسيدي إبراهيم يصدح بنغمات عذبه « جاني الهوى من غير مواعيد، وكل مادى حلوته تزيد، محسبش يوم هيخدني بعيد ...» لتضحك الزكية ويضحك الأحباب، وتخنق العشماوي عراته فيسكت ويسرع للمطبخ وماهي إلا لحظات يأتي بالصحاف المحملة بالنفحات ..»

هلموا فالسفر للحبيب قد آن ..!

وأنت يا ولدي هتستنى، علشان الخدمة ما توقفش ..»، فيصدع سيدي العشماوي بالأمر...« حاضر . يا أمي...»

تنطلق الحافلات في طريقها لمطار القاهرة، محملة بعطر الحسين وثمالة الماضي وبقية الحاضر ،أمنا الزكية، مخلفة ورائها شوق يشتعل في قلب العشماوي يتضرم بلهيبه على مهل، ممض، مؤلم ...

تتلألأ أنوار الخدمة،تدعو مزيدا من الأحباب، ويهدأ الخطو لينصرف الناس

إلى مهاجعهم، ليبيت العشماوي ليلته في الخدمة، لا ينقطع بكاءه الصامت، وتضرعه المتيم، لتخطفه أجنحة النوم العطوف المواسي ...

-ليه يا ولدي بتبكي؟

-الشوق يا أمي، كيف تطلع الشمس علي من غير ما شوفك؟

-إزاي؟! وأنت معانا؟

-تحب تطوف يا إبراهيم دلوقتي؟ ولا تستريح شوية من السفر؟

- لا....، أطوف يا أمي...بس خدي بأيدي خايف أتوه منك في الزحمة ...!

تبتسم الزكية وتشير إلي قلبها، فإذا بالكعبة والحرم، لتأخذه الزكية من يده، يطوفا بالبيت، تسيل الدموع وينساب الدعاء، يصلي بأمه ركعتين خلف مقام أبي الأنبياء، يأتي الخدام بماء زمزم تحتويها كؤوس نور ،يتضلعا ،يصدح قلب العشماوي

بالنغمات العلوية وموسيقي سرمدية لم تسمعها أذن من قبل، تأخذ بيده إلى المسعى، سبعة أشواط، لتلوح المروة محتضنة، ضاحكة، يتلألأ ثغرها بالجمال وقد أخذ الجلال الأحباب، يتحللوا يحلق العشماوي وتأخذ الزكية من خصلاتها...

تشرق الشمس على رأس العشماوي العارية من شعره؛ يدور بين المطبخ والخدمة يقدم النفحات والضحكات والأشعار والدعاء ...

***

«٧»

...سمع مناديا، فإذا به قائد الحراسات الخاصة بوزارة الداخلية، يطلب من سيدي إبراهيم الدخول على أمه الزكية، فيسرع سيدي إبراهيم طارقا على باب خلوتها مخبرا برغبة مريدها اللواء المرموق، فأمرته بإكرامه وبأن ينتظر قليلا ...

فجاء بصفحة الخدمة، جبنة، ودقه، وخبز يابس ،جرير ،وعودين خس، وجلس بجانب اللواء يصنع له قهوته على السبرتايه ...

أشرق وجه اللواء سعادة ورضا وأقبل على الطعام بشهية أدهشت عم إبراهيم فنظر إليه متعجبا وهو يقلب القهوة على مهل شديد ...فلاحظ اللواء ذلك ...

فقال : « عارف يا إبراهيم، والله لولا الوظيفة كنت قلعت البدلة دية واشتغلت

تحت إيدك في المطبخ ،أمتى ياشيخ اطلع معاش! »

ولما فرغ من طعامة بعد أن أتى عليه كله، صب عم العمدة القهوة وناولها له ...وانصرف ثانية يستأذن على الزكية، فأمرته بأن ينتظر، فرجع متحرجا ،فوجده قد غادر بعدما فرغ من قهوته، فحزن عم العمدة اشفاقا على كسر خاطر اللواء الكبير ...

وانصرف إلي المطبخ لإعداد وجبة الغذاء... وبعد مرور ساعتين أرسلت إليه الزكية، فترك ما في يده ودخل عليها الخلوة...

- نعم، يا أمي...،

- أنت زعلان علشان الراجل مشي؟

- أه، زعلان بصراحة ...

- ياولدي أنا مدخلتوش علشان مصلحته ...

-مصلحته؟!، مش فاهم يا أمي...

ابتسمت الزكية وأخبرت عم إبراهيم بأنه

سيرحل مع نفحتها إلي السنطة ،غربية، ليقابل سيدي أبي عمار ويسلمه نفحتها، فصدع عم إبراهيم بالأمر، وبعد تقديم الغذاء وصلاة العصر في مقام الحسين توجه بالنفحة للغربية، وكان سفرا صعبا للغاية انقطعت سيارات الأجرة المتوجه من القاهرة للغربية لسوء الأحوال الجوية، فكان عليه أخذ القطار الذي تأخر عن ميعادة وقد انتصف الليل تماما، ليصل الغربية الثانية صباحا، نزل بالنفحة الثقيلة إلي محطة طنطا وقد خلت تماما من المسافرين والحمالين، فحمل الجوالين الثقيلين إلي مخرج المحطة يريد تاكسيا يوصله للسنطة، ليتغير المناخ فجأة وتبرق السماء وتهطل أمطار «يناير» الغزيرة وتنقطع المواصلات تماما، تأخذ الحيرة عم إبراهيم الغريق في برك الأمطار، المرتعش من برودة الجو،المبلل تماما من رأسه إلى

قدمه، يبحث عن أى مظلة يستظل بها حاملا الجوالين على عاتقه ...فإذا بمكاري يقطع بركة الأمطار بعربته الكارو، يشق صمت مدينة طنطا بصوته الأجش ...

«حبيتك ليه ما اعرفش، إيه ذنبي إيه ما اعرفش، واجي أسيبك مقدرش ...»

ليقطع عليه عم إبراهيم انهماكه في الغناء ...

-أنت ياعم ياللي ما انتش عارف استنى...

ليقف المكاري ...

- توصلني السنطة ياعم؟

- السنطة مرة واحدة ...ليه رايح لمين الساعة دية؟

- معايا أمانة لعم الشيخ أبي عمار ...

-مدد يا أهل الله ...

ليقفز المكاري العملاق من عربته الكارو ويحمل الأجوله ويحملها على عربته، ويقفز عم إبراهيم بجانبه ...

وتنطلق الكارو نحو السنطة، وينهمك المكاري العملاق في أغنياته تحت المطر الغزير ...

يصلا السنطة وقد أذن الفجر على أعتاب خلوة أبي عمار ..

يضعا الاجولة وينصرف المكاري بعد أن تسلم أجرته...

يطرق عم إبراهيم على خلوة أبي عمار وكانت دارا صغيرة بالطوب اللبن مسقوفة بجذوع أشجار وقش وتحيط بها الحقول من كل جانب ..

يطرق عم إبراهيم ثانية، فيأتيه صوت أبي عمار ويأمره بالانتظار، ينتظر عم إبراهيم، يبحث عن ماء ليتوضأ، فيتوضأ من قناة ري ضيقة، ويصلي على أعتاب خلوة الشيخ المغلقة ويستغرق في تسبيحه حتى تتسلل أضواء الصبح متثائبة، وتنطلق الطيور من أوكارها

مغـردة، وينتـشر شـذى الـتراب المختلـط بمـاء المطـر ورائحـة نـوار الـبرسيم الغـض، ونـواح السـواقي ببكاءهـا الشـجي منادية عـلى حبيـب نـسى موعـده وطـال انتظـاره، ويطـرق عـم إبراهيـم ثانيـة، ليأتيـه صـوت الشـيخ ...

- اصبر، هـو أنـت علشـان عمـدة مسـتعجل أوي، اصبر صبر اللـوا لما انتظـر، وطـال بـكاه عـلى الاعتـاب ولا حـس ولاخبر ...

تذكـر عـم إبراهيـم، الـذي سيلقب بعـد ذلك بالعمـدة طيلـة حياتـه، مشـهد اللـواء المنهمك في أكل الجـبن والخبـز والجريـر، ويفتـح البـاب ويخـرج خـادم بطبليـة صغـيرة عليها الجـبن والخبـز والجريـر وأعـواد الخـس، وبـراد شـاي ينطلـق بخـارة مسـتجيرا مـن بـرودة الصبـاح النـدي ...

بيقولـك عـم الشـيخ: «انتظـر ياعمـدة وتفضـل وأهـلا وسـهلا بابـن الزكيـة ونفحـة

الزكيــة ...»

يحمــل الخــادم الجوالــين ليدخــل بهــما إلى الــدار وســط تعجــب عــم إبراهيــم مــما يحــدث ...

وبعــد انتصــاف النهــار يــأذن لعــم العمــدة بالدخــول عــلى الشــيخ ليســتقبله مرحبــا ضاحــكا ويقــول :

- أوعى ياعمدة تكون زهقت من الانتظار...

- لا ياعمي أنا خدامك ...

- أحنــا بنأخركــم ســاعات خوفــا عليكــم مــن أحــوال لا تحتملوهــا وأنــوار حضــور قــد تذهــب بعقولكــم، فعــذرا عــلى طــول انتظــارك ...

وهنا يفهم العمدة الدرس جيدا ...

ويبادره سيدي أبو عمار بالمفاجأة ...

- عندك جواز سفر يا عمدة ...

-لا يا عمي ...

- طيــب لمــا توصــل مــصر بــإذن اللــه طلعــه

علشان أنا عزمك معايا على العمرة، فاهم يا عمدة ...

يكاد الفرح يطير بعم العمدة ليقوم مقبلا أبو عمار الضاحك، شاكرا باكيا من وقع المفاجأة...

- أنا هسافر معاك علشان بس اشيلك شنطك ...

- ده أنا إللي أشيل شنطك يا حبيبي يا عمدة يا ابن الزكية ...أنت ياولدي لسه مش عارف أنت مين ؟! ...

***

«٨»

تمسح الشمس حبات المطر اليناير المداعب لجبينها المغطى بسحب نهار يشكو لها قصر عمره، وتستعد لهجعتها على فراشها المخملي المنسوج بخيوط نور الغروب الأحمر، لتربت على عاتق النهار الراحل مواسية، ولتسرع العصافير إلى أوكارها لاهجة بتسبيح متعب خافت، لتحتضنها الأشجار بحدب أم عطوف تحكي لها قصصها المسائية..

« كان ياما كان، وما يحلى الكلام إلا بالصلاة على سيدنا النبي العدنان، حكى لي هدهد قادم من بلاد الشهداء، يلتف أهلها الوادعون كل يوم حول روضة من رياض آل البيت لشهيد، من بني عمومة النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه الإمام محمد بن الفضل بن العباس، جاء فاتحا لتلك

البلاد المحصنة بحصون الرومان المنيعة العالية، أحبه أقباطها، لشجاعته وعدالته ولوسامة النبوة وبهائها، ينام في حجر النبي المتيم بأبنائه من آل بيته كيف وقد عوضه الله بابن حبيبه الفضل، وعيناه صلى الله عليه وسلم مازالتا مشحونتين بدموع الرحمة والحزن على فراق ولده إبراهيم عليه السلام، يتعثر الحسين في مشيته خلف الحسن المسرع نحو جده، يبكي الحسين، ينهض النبي حاملا ولد عمه ابن الفضل الرضيع، ليحتضن الحسين الباكي ليجاور ابن الفضل محمدا، لينام على صوت تسبيح قلب النبي، يضحك الحسن على منظر النائمين المتجاورين « يا أبه، شاقني النوم بجوار أخواي ...»، يبتسم النبي كشمس فتية وكبدر وليد، ويرفع يده داعيا لأبنائه الشهداء الثلاث، « قد اشتاقت لكم جنات ربي، فكيف

لايشتاق إليكم جنبي ...»

تبتسم الشجرة الأم لنوم العصافير في غطيط مسموع، تحتضنهم بغصونها، وتغطيهم أوراقها، « أكمل لكم الحكاية، مساء الغد ...»

يسارع العمدة للزكية بعد تلك السفرة للغربية، فرحا بمنة الله عليه بالعمرة مع واحد من صالحي عصره، يخبرها بما حدث مع أبي عمار وبتفاصيل رحلته، وبحاجته لجواز سفر، لو سمحت له الزكية وأذنت بمصاحبته للشيخ « ياولدي هو أنت مش كل ليلة بتزور وبتطوف، أنت ما بتشبعش خالص من نور جدي ؟! ..»، « لا، يا أمي ما بشبعش، لكن لو أمرتيني بعدم الذهاب والله ما ذهبت...»، « صادق ياولدي، ربنا يرزقك الصدق ...»

تخرج الزكية من درج مكتبها جواز عم العمدة « أمال إيه ياولدي، إللي يخدم

ينخـدم ...»

تتهـادى الباخـرة في عبـاب خليـج السـويس مرسـلة نظـرات وداعهـا شـواطئ المحروسـة بـآل بيـت النبـي، مقبلـة بناصيتهـا نحـو الحجـاز المنـير بالنبـي، وعـم العمـدة يلـح في السـؤال عـلى أبي عـمار، « هنبـدأ بجـمال سـيدنا النبـي ولا بجـلال بيـت رب سـيدنا النبـي ...»، فيطـرق أبـو عـمار متعجبـا مـن بلاغتـة وحكمتـة « يـاواد، ده أنـا كـده مربتـش خالـص، هـي أمـك مربيـاك إزاي، وعلمتـك إزاي...؟!!»

« بكلمتـين مفيـش غيرهـم يـا سـيدنا، اتـق اللـه يعلمـك اللـه، كل الحـلال، تفـض عليـك أنـوار الحكمـة ...»، « صدقـت الزكيـة بنـت الحسـين، يعنـي هتجيبـوا منـين؟ !!» يضحـك أبـو عـمار « لا، ياعمـدة مسـار الرحلـة مكـة الأول ثـم المدينـة ..»

يعبـس العمـدة « يعنـي مـا ينفعـش المدينـة

الأول ثم مكة ...» يبتسم أبو عمار ضاحكا من لهفة العمدة « لا ياعمدة، وبعدين عندك قبطان الباخرة اتفاهم معاه ..!!»
،» لا قباطين ولا ريسا ...، أنا عندي إللي بتفاهم معاه ..!، طيب يا سيدي مش هدخلني الخدمة ..؟»، « ابن الزكية ما يخدمش في خدمتنا، ابن الزكية يتخدم وينشال على الروس ..» ...
ماذا عليهم لو بدأوا بزيارة سيدنا النبي، هكذا قواعد الأدب يطرق على الباب أولا، ثم يؤذن بالدخول، ألم يقل رب العزة «وأتوا البيوت من أبوابها...، وروضة النبي هي باب بيت رب النبي ... هكذا كانت أنفاس سيدي العمدة وأفكاره وهو يجول بنظره بعيدا في تلك الأمواج المتلاطمة في رتابة أزلية تعلو تارة وتنخفض أخرى، ولكنها لاتتوقف، كذلك الحياة في سيرورتها، حتى يأذن الله بنهايتها ...

« يـا أمـي واخـداني فـين ؟»، « النهـاردة أول يـوم لـك في المدرسـة الإلزامـي يـا إبراهيـم...»..

«وأروح ليـه بـس يـا أمـي؟، زعلـت منـي عشـان اتخنقـت مـع عيـال شـارعنا ...»، « نعم، زعلـت منـك، مـش احنـا متفقـين تكـون ديمـا في الكـوم الناقـص، ومتفرطـش في مـيراث الأدب...»، « طيـب خـلاص، مـش هتخانـق تـاني بـس بـلاش المدرسـة الإلزامـي ديـة ...» « لا، يـا إبراهيـم لازم تتعلـم إحنـا ياولـدي لا عندنـا أرض ولا تجـارة أبـوك اللـه يرحمـه مـا سـبلناش غـير السـتر...»

يدخـل الطفـل إبراهيـم المدرسـة، لينتهـي اليـوم الـدراسي، ويخـرج ليجـد أقرانـه وقـد انتظرهـم آبائهـم، وهـو لم ينتظـره أحـد، يشـعر في أول مـرة بمـرارة اليتـم والفقـد ويسـير وحيـدا لـداره بقريـة ميـت شـهالة ،التابعـة لمركـز الشـهداء، يمـر عـلى مسـجد

سيدي شبل محمد بن الفضل بن العباس، يدخل الضريح، يلتصق بنوره الأخضر الشفيق، يهمهم بالفاتحة، يغلبه البكاء، تطول الوقفة، ويسرد شكواه، وعلى مد بصره المستغرق في نور الروضة بكليته، وبين أربعة أعمدة رخامية، خلف باب خشبي عملاق، يقف صفان من الرجال، تعلوهم هيبة الجلال، وجمال البهاء، كلهم يرتدي عمامة خضراء، إلا واحد يفوقهم جمالا وجلالا، ليستحيل نور الضريح الأخضر لنور أبيض، تعلوه عمامة حمراء، ينظم الصفوف، ويمد يده ليد إبراهيم، يد ناعمة كالديباج، دافئة كشمس الشتاء، ويحتضن الطفل إبراهيم بابتسامة تملأ وجهه البهي، ليظهر درها المنضود، يأخذ إبراهيم ليقف بجانبه وسط الصفين، يأخذهم وجد الذكر ليتمايلوا، كأغصان ياسمين، ينتشر شذاها ويملأ الأكوان،

يمسح الرجل برأس إبراهيم، ليلتفت إليه ويقول :» من أنت ياعم؟» فيبتسم الرجل رحمة تحتضن الفتى « أنا كفيل اليتامى يا إبراهيم ...»

تمسك بكتف إبراهيم وتجذبه « كده إبراهيم...كده يا ولدي تتأخر كل ده، أنا لفيت عليك البلد كلها ... »

« هو مين كفيل اليتامى يا أمي...؟»

تختفي سحابات الغضب المسيطرة على ملامح أمه وتهمهم « صلى الله عليه وسلم، ده سيدك النبي ياحبيبي « تحتضنه ويتوحدا في نغمة بكاء عذبة ...

« السيدات والسادة، يأسف طاقم الباخرة، لتحول مسار الرحلة المقرر وصولها لجدة، إلى ميناء ضبا، لعدم توفر أرصفة خالية بميناء جدة، تتمنى إدارة الباخرة لكل ركابها زيارة مقبولة لساكن المدينة صلى الله عليه وسلم ...»

يهتف العمدة سعيدا، صلى الله على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم ... وإذا بأبي عمار خلفه ضاحكا « غيرت مسار الرحلة يا عمدة ...»، فيجيبه العمدة: « هنعمل إيه بقى، الحب كده ...».

يتوجه الزوار نحو طيبة، ترحب مآذن المسجد، تبتسم القبة الخضراء، يقف العمدة وأبو عمار في مقدم الفوج أمام روضة النبي، تشير الزكية المتدثرة بعباءة سندسية خضراء، «قل ياولدي ...» ،تتحول جهامة العسكري الواقف أمام الروضة، لحنين وإشفاق وترحاب، ويشير لسيدي إبراهيم داعيا، « قل ياعمدة ...» وفي وسط ذهول الجميع، يبدأ العمدة بإنشاد صوفي يذوب له الجميع حنينا، وفي نهايته يمسح الجميع دموعهم ...ليهمس أبوعمار في أذن العمدة « رحمك الله ورحم أمك...كده يا عمدة، تبوح بالسر يا ولدي...»

« هي إللي أمرتني يا سيدنا » .

«٩»

متخفيا، مضطربة أنفاسه، محموم اللفتات، صائد ومصاد، ظمأ لدماء ينهل منها، أو يُنهل من دمه، تتردد على مسامعه وعودا بإمارة مصر، ووعيدا بحفرة في باطن الأرض، يكمن كأفعى يجمع كل طاقة سمه، ينتظر انقضاضه بلدغة قاتلة ...

***

- ياولدي..

-نعم، يا أمي...

-افتح الدولاب، فيه شال حجازي خده...

-ليه يا أمي...

-سنشد به ظهرك، يوم تلتهمك هوة الفراق.

-مش فاهم ...

-بكره تفهم يا حبيبي.

ينصرف عم العمدة متحيرا، أتراه وعدا

مـن أمـه أم نذيـرا؟...
ومتـى اسـتقامت الأيـام لحـي؟ ، حتـى تسـتقيم لـك يـا إبراهيـم ؟! يسـتأذن عـم العمـدة ليبيـت ليلتـه بمنزلـه، فتـأذن لـه الزكيـة.

***

لا يعلـم ولكنـه كان يشـعر شـعورا غامضـا، بأنـه مطلـوب بنفـس قـوة طلبـه، مرصـود بـذات ترقـب رصـده، وكـما أعـد خنجـره المسموم، أعـد غـيره لـه خنجـرا بـذات السـم.

***

تثقـل خطواتـه، منشـغلا بهـذا الشـال، ومـا قالتـه أمـه، أي هـوة فـراق سـتلتهمك يـا إبراهيـم، يدخـل بيتـه، يعطـر الشـال بأطيب مسـك لديـه، ويضعـه بأعـلى رف بـدولاب ملابسـه، تسـتيقظ زوجتـه أم مصطفـى، تـسرع لإعـداد لقمـة العشـاء، يشـعر العمـدة بضيـق في نفسـه، ألم متصاعـد في صـدره،

ليتحول لألم لايطاق، يتسارع وعيه في الخفوت، تهلع أم مصطفى ذاكرة الله، يصرخ ابنه مصطفى ...

-بابا...بابا ...

***

تمشي الهوينى، حاملة جرتها الفخارية على رأسها، تعطر نسيم الصباح الوليد بشذى صباها الباسم، تنزل «مردة» ترعة السمسمية المتلألأة قطراتها، المنسابة كفضة تسيل مسرعة، حائرة بين ضفتين تتزاحم عليهما أشجار الكافور والجازورين والبأس، وتغسل شجرة «أم الشعور» العملاقة شعورها الخضراء، خجلى من شجر الجميز والتوت المتغزل، الرامي ببصره نحوها .

وقد ألقيا بسنارتيهما بصبر مترقب آخذ في الاحتضار، ابتغاء صيد عز عليهما طيلة الليل بأكمله لتسقط سنارته من يده مشدوها بحسن مايراه...

-مين دية ..؟

-دية الجليلة ..

-تبارك الله ..من بلدنا دية؟

-لا، دية نازله ضيفه على عمها قبلي البلد. من ساعتها وقد جفاه النوم وعز .

يحترق كشمعة أضناها السهر، لاتفارقه صورة الجليلة، يخفق القلب الشاب خفقانا جديدا، يشابي فؤاده بكلتا يديه نحوها، تلاحظه أمه، الحاجة أم إبراهيم، يفاتحها إبراهيم بأمر قلبه، لتهرع لخطبتها، طالبة الجليلة لإبراهيم .

وفي ليلة عرسه، تبارك أم إبراهيم العروسين، تبدأ صلاتها الليلة ولكن بشعور وخشوع وبكاء يأخذ بكل وجدانها الهائم في المحبة، الناطق بالشكر والامتنان، يطول سجودها ويطول، تتباطأ أنفاسها بتسارع خافت وهن، ويخفق قلبها خفقة فرح أخيرة طال انتظارها شوقا.

تدور رمكة راقصة وعلى صهوتها العمدة، رشيقة متمايلة على أنغام طبل ومزمار يتصاعد ليهدأ ويصمت، تختفي الرمكة الراقصة، ويترجل العمدة، ليستقبله عم آدم خادم ضريح أبي الحسن، يطبق أصابعه العملاقة على يد العمدة مصطحبا إياه نحو القبة الطينية العتيقة، تبرز الزكية من خلوتها ...

-آن قسمك من البلاء، هل سينقسم ظهرك، أم تراك تفر من مقامك ؟

- وليه يا أمي طاب الشراب ولذ.

-أما شبعت بعد من حلاوته؟

-لا...

-لن تصل لمقامك التالي بغير تجرع علقم الابتلاء.

-اثبت ياعمدة ثبات الرجال...

***

يخرج أمير الجيوش من خيمته مبتغيا

الصلاة بجنوده فجرا، يخرج الأفعوان من مكمنه ويطعن الأمير ثلاث طعنات مسمومة، ليطير سهم مسموم النصل يستقر في قلب القاتل، يكبر الإمام محمد بن الفضل بن العباس بن عبد المطلب، يزأر شبل الأسود زأرته الأخيرة، يسرع الجنود نحو الصوت ليجدوا الجسد الشريف للإمام، وقد تمدد جسد القاتل تحت شراك نعله قتيلا بسهم استقر في قلبه.

***

يترامى لمسمع العمدة العائد لوعيه ببطئ صوت الزكية بعيدا، مستفسرة عن حالته ليجيبها الطبيب:

-أزمة قلبية حادة ...

-حادة وما العمل؟

-في الغالب عملية استبدال صمام، لكن قلبه مجهدا جدا ...

يهمس العمدة باسم الزكية، فتمس جبينه قائلة :-

-نصيبك من الابتلاء، من لازم وأحب اغترف من قسمتنا، وقسمتنا معلومة، راضي ياولدي؟!

-الرضا كله يا أمي...

يغيب العمدة عن وعيه ثانية ...

***

يترجل فارس على بوابة قصر، يُؤذن له بالدخول، يخبر بمقتل أمير الجيوش بمصر، يهمس كبير القصر لرجال بلاطه:-

- محمد بن الفضل، أولهم، وقائمة رجال هذا البيت مزدحمة !!

***

«١٠»

أنـوار وكهـارب حمـراء وصفـراء وخـضراء تحيـل ظـلام الليـل الأسـود إلي ألـوان ورديـة مبهجـة، نغـمات كـمان مرتعشـة راقصـة متحـررة بلارقيـب تنـثر ضحكاتهـا العاليـة الامباليـة ليجيبهـا البـاص بنغماتـه الذكوريـة الغيـورة، مطـاردة بيـأس العاشـق الولـه المذبـوح بالتجاهـل، يحـاول التيمبـاني بإيقاعـه النابـض الحـار الصلـح، يهمـس للكـمان، يُـسر لهـا بلوعـة البـاص وعشـقه، لتتـمادى نغـمات الكـمان في لامبالاتهـا، مجيبـة بضحكـة لعوبـة « كـثر هـم قتـلاي!» صحـاف الشربـات تغـدو وتـروح، تتلقفهـا الأيـادي الظـمأى لرحيـق الـورود والعشـق، أطقـم الخـدم ببذاتهـم الأنيقـة، المزينـة أعناقهـم ببيونـات حمـراء، المسـتأجرون مـن فنـدق رمسـيس هيلتـون، يتسـابقون بهمـة

ونشاط في تقديم الأطعمة والمشروبات، يرصونها بأناقة فندقية من ذوات النجوم الخمس، لتتناولها أكف الفقراء والمساكين والمجاذيب، تتجول الزكية في أنحاء خدمتها متفقدة، منبهة، مرشدة، مبتسمة، لينة الجانب، تخص أطفال الفقراء المصاحبين آباءهم، والمشردين، واليتامي بالحلوى، آمرة الخدم بإكرامهم يتبعها العمدة المتعافى، يخفق قلبه بفرح ونشاط صمام جديد واهبا حياة جديدة لقلب عاشق، وفي يده أوراق وقلم، يكتب أسماء الأطفال، يضاحكهم ويضاحكوه، العمدة قد عاد ثانية بعد طول غياب، عاد في ثياب عافية وبرء، بخافق شاب يستعد بكل عزمه لبذل محبة لكل مخلوقات الله، بصدر وسيع رحب رحابة العشق، لامبال بألم جرح شقه يوما مبضع جراح ماهر، ببهجة ليلة، أصرت أمه الزكية على

إقامتها، احتفالا بعودة ابنها ثانية، ليلة ذكر ومدح وخدمة لم يشهدها يوما حي الحسين والجمالية وبين القصرين ... لا، ....

***

شهدها يوم مقدم رأس الإمام الحسين، ليس من قيد أنملة بمحيط قصر الزمرد الفاطمي إلا وقد علاه السجاد الأحمر الفارسي السلطاني، ليس من نسمة إلا وحملت بشذى الزعفران والمسك والباخور، لتكتظ الطرقات بموائد عليها من شتى صنوف الأطعمة السلطانية الفاطمية ،لم يبق من بيت قاهري إلا وجاء مرحبا مستقبلا، يظهر الخليفة الفائز بالله الفاطمي، حافي القدم ،يحمل طستا ذهبيا عليه برنس أخضر يحيط مغطيا أشرف رأس، يتبعه وزيره القوي نافد الكلمة الصالح طلائع رزيك حافيا مهرولا مأخوذا، ليعبرا وسط الجماهير

المهللة المكبرة، ليدخلا سرداب قصر الزمرد، ليستقر الرأس الشريف لحين انتهاء أعظم البنائين والنحاسين والرسامين من إنهاء المشهد الحسيني الأعظم مقابل الجامع الأزهر .

تراسل الزكية كل أولادها لحضور الاحتفال الكبير، تحضر الوفود تترى من الإسكندرية ووجه بحري، وبعد قليل يحضر وفد عظيم العدد والمظهر، يتقدمهم الصعيدي الوجيه إدريس السناري أقدم أبناء الزكية وأخلصهم وأكثرهم بذلا، يمشي وسط صفين من مصاحبيه كطاووس في كامل بهائه وزينته، ليصافح الزكية، مرحبة باشة لابنها الأكبر...

- ليه الغيبة الطويلة دية يا إدريس؟

يجيب بلهجة صعيدية خالصة....

-الأرض ومسؤوليات العمودية يا أمي...

- كنت خالي ومبسوط يا إدريس..!

- ما هي دعوتك يا أمي ...

-ساعتها كنت ديما تقولي نفسي في ابتلاء النعم، وأقولك ياولدي ده ابتلاء صعب، عارف، ساعات بقول لنفسي ياريته قعد جنبي على فقره، وألوم نفسي لأني طوعتك ودعيت ....

يجيب إدريس منزعجا :

-هو أنا قصرت في حاجة يا بنت سيدنا الحسين؟!

- القرب يا إدريس، مش بس إجابة الطلبات ... هنشوف ياولدي هنشوف ...

ينصرف إدريس ووفده الصعيدي إلى الموائد...

وبعدما يفرغ الجميع من طعامهم، يسكت الإنشاد وما يصاحبه من نغمات، لتبدأ الحضرة الشاذلية، صفوف طويلة على هيئة مستديرة، دوائر كبيرة تحتوي دوائر أصغر بداخلها

دوائـــر أصغـــر وهكـــذا، وفي القلـــب منهـــا الزكيـــة في عبـــاءة ســـوداء، يعلـــو رأســـها طرحـــة حريـــرة سندســـية باهـــرة الخـــضرة، ويجلـــس عـــن يمينهـــا إدريـــس، يلـــوح عـــلى وجهـــه الأســـمر الوســـيم علامـــات الحـــيرة مشـــوب ببعـــض حمـــرة الغضـــب، يســـترق ناظـــرا بطرفـــه المضطـــرب العمـــدة الجالـــس لأول مـــرة مشـــاركا إدريـــس الصـــدارة .

تتعالي أصوات الذكر بالتدريج، مختلطا بنشيد منفرد يصدح به، المداح والفنان والموسيقي الأشهر الكحلاوي بن الزكية، ينشد بشجن باكي فائية ابن الفارض، «مالي سوى روحي وباذل نفسه من أجل من يهواه ليس بمسرف، فلئن رضيت بها فقد أسعفتني، ياخيبة المسعى إذا لم تسعف»

والعمـدة هائـم في دنيـا ليسـت كـما الدنيـا، وإدريـس تائـه في كل أوديـة الدنيـا، ثـم الاسـتغراب مـن وضعيـة العمـدة الجديـدة،

والزكيــة ترمقهـما بطـرف خفـي ...
وبآخـر طبقـة ذكـر، تقبـض الزكيـة بيمينهـا عــلى المايــك، اســتعدادا للحديــث، ليصغــي الجميــع منتبهـا لمـا سـتقوله الزكيــة .

***

«١١»

- روضة جدك أبي الحسن الشاذلي .. تمد بصرها إلي القبة الطينية العتيقة، ثم تقول مستبشرة ناظرة للسماء :-

أنظر يا أبي هذا هلال ذي القعدة قد ظهر...

-الله ربي وربك اللهم اجعله هلال بركة وخير ..

- مشتاقة لروضة النبي يا أبي ...

- الصبر يا ابنتي كلها أيام ونصل...

تخيم قافلة الحج في وادي عيذاب، فتلك هي المرحلة الأخيرة من رحلتهم في الأراضي المصرية، نهار واحد يفصلهم عن ميناء عيذاب، وهذا هو سيدي عبدالمطلب بدوي العالم الأزهري وتلك هي ابنته الزكية ذات الخمسة عشر ربيعا وهذا هو العام ١٩١٥، في رحلة الحج التي كانت

مكافأة لها على إتمامها حفظ القرآن الكريم .

تستغرق الزكية في قيام الليل وقد أخذها الحنين لجدها صلى الله عليه وسلم، تنفتح الخيمة حيث ينام والدها، وإذا بالمشيرة زينب رئيسة الدواوين الكونية الباطنية تأتي مرحبة ومعها غربال، تسلمه للزكية قائلة بحزم حاني :-

-«ده علشان تغربلي بيه محبي آل البيت وتجبيهم من الشمال لليمين، وتيجي عندي القاهرة، واللي تحتاجيه هتلاقية .»

تنفتل الزكية من صلاتها لتقرأ سورة الكوثر .

*** تصيخ الأسماع، وتشرأب الأعناق، وتخفت الأصوات إلا من هديل حمامتين ترقبان من عشهما المشهد، وقد قبضت الزكية بالميكرفون :-

-كان وردي الذي لقنته لكم يا أحبابي،

هـو إطعـام الطعـام وجبر الخواطـر، كان الإحسـان للفقـير والحـدب عـلى المسـاكين هـو طريقـي الـذي ربيتكـم عليـه، هـل علمتكـم تصعـير الخـد، هـل علمتكـم المـشي مرحـا في الأرض، فـما بـال كل هـذه الكبريـاء والعـزة التـي استبدت بصدور بعضكـم، أمـن أجـل حـظ حقـير مـن الدنيـا؟! أولادي كـثر في كل أنحـاء مـصر وخارجهـا، وهـذا ولـدي إبراهيـم العشماوي العمـدة قـد ابتـلي فصبر فنجـح ،فكانـت الليلـة ليلتـه وكان الاحتفـال احتفالـه، ودعوتكـم مـن سـائر أنحـاء مـصر لتشـاركوني فرحـي بولـدي العمـدة...

ينتفـض إدريـس السـناري مغاضبـا يصيـح :

-فالصـو يـا أمـي، عمـدة فالصـو، أنـا عمدتـك الحقيقـي، أنـا ابنـك الحقيقـي، أنـا البكـري، أنـا إللـي عرفتـك قبـل مـا حـد يعرفـك...

تأمـر الزكيـة الجميـع بالوقـوف والاصطفـاف لتقبيـل يـد العمـدة .

يتجمد إدريس في مكانه من هول ما قال وما يشاهد، وكلما أقبل أحدهم مقبلا يد العمدة كلما تأخر إدريس خطوة، يتصارع الحب مع نفسه الغاضبة الحانقة، تتهدم أسوار قلبه مع هجمات نفسه الشرسة .

ويتأخر خطوة تلو خطوة حتى يصل إلي بوابة الخدمة الخارجية ونظرات الزكية الحزينة لاتبارحه ...

يخرج إدريس من خدمة الزكية لا يعلم له وجهة ولا يدري أين يذهب، سقطت كل العناوين من ذاكرته، كل الأحداث التي مرت بحياته لا وجود لثمة إشارة لها، وحدها الحضرة الأخيرة، وحده وجهه الزكية، وحدها كلمات الزكية الأخيرة والعمدة بجوارها تنتقل عيناه بينهما.

تشير الزكية لمريديها بالانتظام في حلقاتهم الدائرية، وتعطي إشارة البدء للطبقة الثانية من الحضرة.

يأخذ إدريس في الدوران بشوارع الجمالية، ليعود ثانية للخدمة فيجد أبوابها قد اختفت تماما، وحل محلها أسوار عالية تلامس السموات الأولى، أسوار منيعة لامنفد إليها ولامخرج منها، يسترق السمع فتذيبه أصوات المنشد ونغمات الموسيقى الحزينة الشجية حنينا واشتياقا لوطنه المفقود، يصيخ السمع فإذا كلمات الحضرة قد استحالت على فهمه، وكأنها تنشد بلغة غير العربية، يطوف حول أسوار الخدمة العالية وفي كل دورة تأخذه أزمان طويلة لا تحسب بساعة ولابيوم ولا بسنة، دهور كعمر الإنسان على الأرض، تأخذه تقلبات الحياة وأطوار أعمار الأنس كلهم، وكل طور بدورة حول الأسوار المنيعة المستغلقة، ومع كل دورة تسقط قطعة من ملابسه، فتسقط عمامته مع دورة الغرور، فعباءته مع دورة الجشع فدورة الغضب

والحسد والشره والتراخي والفسوق، حتى يصير عاريا تماما، فتعتريه مشاعر الندم حينما تتقادم به الدهور، ندم يمتص مابقي له من عافية وعمر فيأخذ في النداء باسم الزكية « أما من فرصة في الرجوع؟! أما من ثقب إبرة في تلك الأسوار العالية المستحكمة؟! أمي أمي لم تركتيني ؟! خطأ واحد جر كل تلك الخطايا؟! قتلني الندم، هل من توبة أما من ثغرة في تلك الأسوار؟ «، تلوح من بعيد ثغرة في الأسوار يشع منها ضوء كفجر مشرق ينبجس من غلسة دامسة طالت لدهور ،بالكاد تحمله قدماه كليلة واهنة مثقلة بكل أزمان كئيبة الوطأ سحقت هامته التى علت يوما، يقترب من الأسوار، يعلو نداءه الصارخ، يسقط عاريا باكيا نادما تحت أسوار خدمة الزكية. تنتهي الطبقة الثانية من الحضرة،

ليجهش العمدة بالبكاء راجيا الزكية أن تسامح إدريس، فتبستم الزكية مربتة على ظهر العمدة :-

-أخوك إدريس بعيني ياولدي.

يهرول العمدة ليحضر الطعام، وبعد فراغهم، يحضر إبريقا ممتلأ بماء الورد ليغسل أيدي إخوانه ولا تنقطع عبراته. تأخذ رياح الخريف المودع ورقة صحيفة قديمة، لتطير، وليتضح من بعيد مانشيت تحقيق على صفحة كاملة، «لغز اختفاء العمدة الصعيدي، الوجيه إدريس السناري».

***

القاهرة ٥٧٨ هجرية ..؛

انطلقت المباخر القاهرية كلها بشذاها وعبقها، لتنبعث زخات العطر الدخاني موجات متلاحقة، يطارد بعضها البعض، وتدثرت أرضها بالبسط والسجاد، فاستحالت غرتها لحمرة سلطانية زاهية، وما من بيت إلا وترفرف عليه أعلام ورايات الدولة الفاطمية الحمراء والسوداء والخضراء، ودوريات عسكر التشريفات في أزهى ثيابهم، يتقدم الموكب الخليفة الفاطمي حاملا الرأس الشريف، يتبعه علماء الأزهر والقضاة فالوزراء فقواد الجيش، يحيط بهم التجار وأصحاب الصناعات وصغار العلماء والطلبة والحرافيش والنساء والصبية والفتيات بأزهى ثيابهم، فسينتقل رأس الحسين

من سرداب قصر الزمرد لمشهده العامر بعدما اكتمل بناءه، بين الجموع المحتفلة، يظهر رجل بهي الطلعة، مهاب، نبيل، يلبس البرنس المغربي، لايصدق ما أتاحه له القدر من حظ لرؤية هذا الحدث العظيم، يشاهد البناء وما يحيط به من مظاهر احتفال، ثم يهمس بكلمات مقتضبة من وقت لآخر في أذن رفيق سفره ومواطنه أحمد بن حسان ويعاود مشاهدته المستغرقة، هم قد أتوا في رحلة بحرية من بلنسية الأندلس لأداء رحلة الحج، وكان حتما عليهم المرور بمصر لتكملة رحلتهم إلى ميناء عيذاب، البحر الأحمر، طريق الحج وتجارة البهارات والبخور، يبتسم أحمد بن حسان حينما يلاحظ غياب صديقه محمد بن أحمد بن جبير في تأمل ما يرى ...

-حتما ستدون ما ترى في كتابك "تذكرة

الأخبار عن اتفاقات الأسفار"...
ينتبه ابن جبير من استغراقه فيما يلوح له من جلال بناء، وعظمة إنشاء وأبهة احتفالات ...
-لم أر مثل ذلك يا أحمد...
-أمثلك يا ابن جبير يقول ذلك على كثرة ما رأيته في كل رحلاتك من بدائع وعجائب صنع الترك والفرس والروم ...
-الأمر هنا يختلف يا أحمد، ليست فضة ورخام، وستائر وطنافس ،ليس بديع فرش وبسط، ليس بناء وحجارة وطلاء، ليست مآذن وقباب فقط، ولكنه رأس الحسين بن علي، ستظل هذه البقعة مباركة أبدا إلى أن يرث الله الأرض، هذا هو سبب غيابي يا أحمد، فأنا أشاهد تنزل البركة من السماء لأول مرة في حياتي، لم أر ذلك من قبل قط ...
-نحن بالفعل سعداء الحظ ...

-وأي حظ هذا يا أحمد وأى توفيق، هي رأس سيدنا الحسين بعد طول رحيلها وتطوافها من كربلاء للكوفة للبصرة للينا لحمص لأنطاكية لدمشق للرقة لعسقلان ثم القاهرة مستقرها الأخير... يدخل عم العمدة لضريح الحسين كعادته كل صباح منذ عشرين عاما، يتذكر جيدا أول مرة دخل فيها الجامع الحسيني الجليل، من الباب الذي يقودك مباشرة لضريح سيدنا الحسين الفضي المبارك، أربعة أعمدة رخامية تفتح رحاباتها الوسيعة له، وهواء محمل بمسك وعطور الكافور والعنبر والعود، يكاد إبراهيم العشماوي ساعتها يصيح من دهشة ما يتذكر، فقد شاهد تلك الاعمدة وهذا البهو من قبل برؤية كافل اليتامى الذي احتضنه وربت على ظهرة، نعم هي تلك الأعمدة الأربعة التى شاهد بينها النبي

وأصحابه يقيمون بها حضرتهم، وهو بعد طفل لم ير مسجد الحسين بعد بل ولم يغادر قريته، وقد صرف في أول يوم من مدرسته الإلزامية، هناك في ضريح الإمام محمد بن الفضل ،شبل الأسود، وكلما دخل عم العمدة مسجد الحسين، كلما تذكر ذلك ودمعت عيناه وقرأ الفاتحة لأمه التى ولدته وشكر الله على نعمة وجود أمه التى وصلته وسلكت له طريق المعرفة والعشق، يدخل الضريح، ولكن ويا عجب مايرى، يمسح عينيه أكثر من مرة براحة يديه، ولكن مايراه لا يتغير ...

-ما الذي أتى به إلى هنا ؟

يهرول العمدة دهشا للخارج، ويحدث نفسه بصوت ظنه خفيضا هامسا، هو ميدان سيدنا الحسين وهذا هو الجامع الأزهر وتلك هي قهوة الفيشاوي وهذا هو خان الخليلي، ليس ميدان سيدي شبل

وليست مدينة الشهداء، وليست تلك التلة العالية، وليس جامع سيدي شبل بمئذنتة الأموية المكتنزة القصيرة ذات الشرفات الدائرية الوسيعة، وإنما هي مئذنة عثمانية رشيقة شاهقة، نحيلة كمسلة أو قلم رصاص حاد القمة مشطوف السن ..

يدخل ثانية إلى حجرة الضريح، ليس ضريح سيدنا الحسين ومقصورته الفضية المرصعة بفصوص ألماس البهرة الإسماعيلية، وإنما مقصورة سيدي شبل النحاسية ذات الزخارف النباتية والتى أهداها الملك فؤاد الأول، ملك مصر والسودان وصاحب النوبة وكردفان ...

-سيدي شبل ...

ما الذي جاء بك من هناك لهنا؟ هو حضرتك سيبت الشهداء امتى؟ يعنى سيدنا الحسين دلوقتي هناك على التل؟، ها،يعنى هتغيروا الأماكن ولا إيه؟، طيب

وإللي عاوز يزور سيدنا الحسين يقول أنا رايح الشهداء، منوفية ،واللي عاوز يزور سيدي شبل يركب القطر للقاهرة، ولا إيه يعني؟ طيب حي سيدنا الحسين هيبقى اسمه حي سيدي شبل وميدان سيدي شبل هيبقى اسمه سيدنا الحسين !! لا يشعر عم العمدة بعلو صوته، فإذا بأحد المجاذيب يصيح متبرما بلا سبب واضح غير سماعه لمناجاة العمدة الدهشة المدهشة معا ...

-هو أحنا لسه اصطبحنا، يافتاح ياعليم، اقرا الفاتحة من غير غلبه ووجع دماغ يا عمدة ..!

ينتبه العمدة، ويقرأ الفاتحة وعيناه تراوحان ما بين المجذوب والمقام ،وعقله يكاد يطير من دهشة ما يرى، وينصرف مسرعا ليحكي ما شاهده للزكية.

***

ثمانية عشر عاما زواجا، ولم أرزق إلى الآن، ومنذ تزوجت من ابن خالتي الشيخ محمد المهدي عساسة وجئت القاهرة بجوار سيدتي زينب كما أمرتني، وهو يريد أن يسر لي برغبته في الذرية،ما أصبره!، أعلم تعلقه بالذرية ولكن ماذا أفعل؟ وأنا أيضا اشتقت لابن أو ابنة، تسر برغبتها للسيدة نفيسة وتقرأ الفاتحة وتنصرف لبيتها، تعد العشاء وتقاسم زوجها اللقيمات وهو بعد بزيه الأزهري التقليدي...

- عندي لقاء اليوم مع شيخنا عبدالرحيم مصطفى الهاشمي ...

-اسأله أن يدعو لي يا محمد ...

ينظر الزوج لزوجته نظرة ذات مغزى، ويتوقف عن الكلام والأكل، ويستغرق ساهما في أفكار تعرفها الزوجة جيدا، تنصرف الزوجة بأطباق العشاء إلى المطبخ...، وتنادي مذكرة زوجها ...

-هتتأخر عن معاد الشيخ يا محمد ...يفيق الزوج من أفكاره، ويهم مسرعا، يرتدي عمامته ...

تستغرق الزوجة في صلاة الليل، تأخذها سنة من نوم وهي ساجدة ...

-مين ستي نفيسه؟

- أيوه يا زكية، أنا نفيسة العلم ...أنا هي..

- متأخرتيش يعنى؟!

- وإحنا يا بنتي أمتى بنتأخر عن بناتنا؟!

تتحول السيدة نفيسة من زيها الأخضر السندسي إلى زي أبيض يشبه زي الطبيبات، ليقوم مساعدوها بتعقيمها وتظهر بملبس الجراحين المحكم...

لتنام الزكية أمامها ممددة على طاولة، وتجري لها السيدة نفيسة العلوم عملية جراحية لا تشعر الزكية بألم ولا فقد للوعي وإنما بسكينة وطمأنينة وبرد وسلام، ومن الحين للآخر، تبتسم لها

السيدة نفيسة بطرفها الرشيق الأحور المكحول ...

-يا زكية ...

-نعم يا أمي؟

-سوف تلدين -بإذن الله- بنتا واحدة، هتسميها نفيسة ..!! راضية؟

-الحمد لله...راضية.

تفيق الزكية من سنتها لتستأنف صلاتها، مشرقة، مبتسمة برضا، لتجيب عينها بدموع الشكر والعرفان...

***

-لابد أن تقرأ علي ما دونته يا ابن جبير، كتابتك الأخيرة عن مشهد الإمام الحسين بالقاهرة ... ينصرف ابن جبير عن استغراقه في الكتابة...

- فلتسمع إذن يا ابن حسان .

«ووضع الرأس الشريف في تابوت من فضة منقوشة نقوشات بديعة متقنة، وأحيط

بأعمدة من أنواع الرخام المجذع الغريب الصنعة، البديع الترصيع، مما لايتخيله المتخيلون والمدخل إلى هذه الروضة على المسجد مثالها في التأنق والغرابة، وحيطانها كلها رخام على الصفة بعينها، والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع ...»

-هذا ما كتبته يا ابن حسان عن مشهد سيدنا الحسين بالقاهرة، دعني أكمل، وانصرف بسلام لنومك ...

***

«١٣»

يسرع عم العمدة بخطوه، نحو الزكية يهرع، ليحدث لها ماحدث، وكيف انتقل ضريح سيدي شبل إلى الجامع الحسيني، كيف يحدث ذلك ؟، وكيف لم يكتشف ذلك غيره ؟، أنغمس العمدة بكليته في ذلك وبدون وعي، بدل الخطو، أو تبدل . لم تخطو قدمه طريقها المقصود نحو الجمالية، بل خرج من حي الحسين بالكلية، وبعد مسير طويل، يأخذ عينيه بريق قبة السيدة زينب، وكأن الشمس قد تململت من طول مكثها على عرشها المنصوب في كبد السماء، فهربت من بلاطها في غفلة من حاشيتها، ولكنهم حيارى، يبحثون عن مليكتهم، وتعالت لتغفو قليلا علي قبة عقيلة بني هاشم، الصديقة زينب، يقف قليلا على مقامي

السيدين العتريس والعيدروس، ويمشى الهوينى، دالفا حضرة رئيسة الدواوين، وما أن يدلف، حتى يأخذ بيده أحد المجاذيب حسني الهيئة المظهر، وإذا المقام خاليا تماما من المحبين، وإذا بسيدة جليلة تجلس على كرسي عظيم الهيئة، علاها دثار من جلال، زمل جمالا قمريا، لم يستطع العمدة النظر أكثر من تلك النظرة المسترقة، فرد بصره حسيرا مأخوذا، كانت منشغلة بكتابة أمر ما، أمامها ما يشبه القنديل، معلقا وأوراق كثيرة في الهواء وكأنهم على مكتب هوائي غير مرئي، يشع نور القنديل مدادا، تغمس قلمها فيه بين الحين والأخر، ترمقه بحنان أم عطوف، مع كل كلمة تسطرها، فوقف منتظرا فراغها، لم يحسب ولو لثانية كونه المقصود بما تكتب، تفرغ من كتابتها، تنادي، فيدلف المجذوب الذي سبق وأن حدثه بمقام الحسين آمرا إياه

بسرعة قراءة الفاتحة، ينظر العمدة إليه سريعا، ثم يقع بصره على مقام العقيلة زينب، فإذا به مقام سيدي شبل الأسود الإمام محمد بن الفضل، يمد بصره حذرا للسيدة الجليلة، فإذا بها الزكية، فينادي عليها مستجيرا، ويسقط مجذوبا صارخا «الله». يحيط به عالم ضبابي، سماء محتقنة بسحب مأزومة بثقل ماتحمل، يلهبها الريح بسوطه، فتسرع هاربة، فيصرخ في وجهها البرق، فتقف، تبحث، عن مخرج، فيصعقها البرق، فتبكي وتختنق شرقا بدموعها، فيجيبها التراب العاشق، المعذب، المختلط بدمعها العتيق،» لم نخلق إلا للفراق » ...

يشرق من بعيد تتضح ملامحه رويدا، زاهر الشباب، أسمر البشرة، أغر الجبين، نبيل الأنف، واسع الوجنة، يوسيفي الفم، قوي النظرة، شديد البنيان، ربعة، يقترب

من العمدة، ويهمس مبتسما،
ألا تعرفني؟
أنت هو صاحب المقام ...
أنا هو ابن عم الحسين وزينب ...
سيدي شبل الأسود...
نعم، وهذا هو خطاب المشيرة ،فاتبعني ...
يهمس في أذن العمدة بدعاء، فينساب الشعر من شفتيه عذبا، رقراقا في مدح الأمير، منسابا على لسانه مسك الضوع والعنبر شعرا، ويرى بعين الغيب، يرنو للوحة شعره الضخمة، مكتوبة بماء الذهب معلقة على يمين باب المقام، ممهورة بتوقيعه، العمدة بن الزكية، إبراهيم العشماوي ١٩٧٥ ...

***

يا زهرة العمر ومنية الفؤاد، يا بسمة الروح، وصبر الانتظار، يالقاء الغيب بعد طول غياب، يا إجابة دعاء لباب لا

يوصد، يا نفيسة، يا هدية النفيسة، هذا حضن أمك فارتعي كيفما راق لك، ولكن فلتعلمي أني لست ملك نفسي، حتى أكون لك وحدك، وأبوك يا نفيسة غاضب، له بعض الحق، ولكني أيضا لا يد لي ولا إرادة...

- يعني طول النهار من السيدة للسيد، طول النهار في خدمة آل البيت وطول الليل تسبيح وصلاة، منذ رزقنا بنفيسة، وأنا لا أراك...

- لا إرادة لي يا محمد ..

يعني خلاص أخذتك الجذبة يا بنت خالتي ..

- لا يد لي يا محمد ..

يأخذها البكاء، وفي الصباح تذهب لخدمة مقامات آل البيت ... يطول حال الزكية على هذا لا ينقطع الحنين لآل بيت آبائها، ولا ينقطع لوم زوجها، ولا ينقطع

بكائها ...وفي ليلة لوم وبكاء يطرق الباب، فإذا بالباب الشيخ عبدالرحيم مصطفي الهاشمي، ينكب الزوج مقبلا يد شيخه، ويدعوه أن يتفضل عليه بالدخول، فلا يزيد الشيخ عن قوله « لم آت ضيفا يا محمد، جئت أبلغك رسالة : « أطلق سراح الشمس، فالشمس والقمر لا يجتمعان « ثم ينصرف الشيخ بدون أن يزيد كلمة ..، يدخل الزوج على زوجته الزكية ويضرع باكيا :-

جاء الأمر يا سيدتي ...

توماً الزكية، تمسح دموعها ...

- أنت حرة يا سيدتي، اذكريني عند سيدنا جدك المصطفى وآله ...

يدلف العمدة الخدمة، وإذا بالزكية في انتظاره،

- لا فراق يا بني ..

- أعلم يا أمي، جاء الأمر..

- عليك بخدمتنا آل البيت بجوار ابن عمي الأمير، لا تنس الورد ياولدي ..

- نعم يا أمي، الطبلية وجبر خاطر المساكين..

وفي الصباح الباكر ينصرف العمدة وزوجته الجليلة والأولاد لجوار الأمير شبل الأسود...لتسطر الطرقات مدونة، مندهشة خطوا محموما لا ينقطع، ورسول شوق لا يكل ولا يعرف تعب ولا ملل لقلبه سبيلا .. يحمل رسائل العشق ما بين الأمير والسبط، ما بين خدمة الزكية بالشهداء وخدمتها بالجمالية .

***

«١٤»

واشتد صاحب المكس في طلب أداء ماليس من حقه في أرباح تجارته، وهو الغريب، المهاجر من بلاد بعيدة وراء بحر وجبال، لكنه يرفض ويشتد في رفضه ،مستندا لركن ركين لا ينهدم، بيقينه في الحق يرفض، ويشتد في الرفض، وبفروسية أصحاب هذا البيت يأبى الظلم ،يهدد صاحب المكس وينذر، يرعد ويتوعد، ينصرف الغريب لداره، وماهي إلا لحظات كأيام، أو أيام كلحظات، حتى تهده هجمة سقم غريب، ومرض مستطير، يحتار فيه أطباء البلاط الملكي النجاشي الحبشي ذاتهم، يأخذه الذبول وتعلوه صفرة الموت ملوحة لكل عائد وزائر، وتدنو النهاية لتطال شراك نعله.

« ولكن يا سيدي هناك رجل، تاجر،

عــربي..
يقولـون إنـه مبـارك، يزعمـون إنـه ولـد عـم نبـي أرسـل عـلى أرض العـرب »
« تقصـد التاجـر الـذي ضيقنا عليـه الخناق»، بوهن شـديد،
« ولكن هيهات أن يأتي...»
نجـرب ياسـيدي، الكثـير مـن سـاكني القريـة يتحدثـون عـن سـماحته وبركاتـه .. »
يدخـل الفضـل كنسـمة صيـف في يـوم قائظ، يمسـح عـلى وجـه صاحـب المكـس ورأسـه ويقـرأ الفاتحـة، فيصـح الرجـل وكأنـه انطلق مـن عقالـه، فرحـا غـير مصـدق مـا حـدث ...
- وما الذي تأمر به أيها النبيل ؟
- لا نريد منكم جزاء ولاشكورا ..
يسـتأذن الفضـل منصرفـا، فيسـمح لـه صاحب المكـث راضخـا لرغبـة الفضـل في
الانصراف، مبتسما مبتغيا التقرب يقول:
- بل آتيكم لمنزلكم سيدي الكريم ...

على الرحب والسعة...

وكانت هدية صاحب المكس جارية تدعى ميمونة، وفرس أسمر، وعشرة أرطال مسك ملكي نجاشي، وإسلام أسر به إلى حين !

***

عاد العمدة لبلده ثانية بعد غياب دام الكثير، تغيرت الوجوه والأماكن، يتحسس جيبه من الحين للآخر حيث مفتاح الدار التي شهدت طفولته وصباه وعقدا من شبابه، تلوح شجرة السنط من بعيد تعانقها نخلة تخرج من وسط الدار مرحبة، تهش الذكريات حينا وتبكي حينا، يفتح باب الدار فتهب رائحة الماضي، وترن في جنباتها صوت أمه، قراءتها القرآن، شذى الأطعمة على الكانون، عطر الخبز من جنبات الفرن البلدي، تقطع الجليلة انسياب ذكرياته ...

- الدار عاوزه شغل كتير أوي..
- أكيد، ولكنها ليست لنا بمستقر !
- إزاي؟ وهنسكن فين؟
- أنا هبيع الدار ..؟
- بفلوسها نشتري مقرا لخدمة آل البيت بجانب جامع سيدي شبل ...
- وهنسكن فين؟
- المهم الخدمة الأول...

تنصاع الجليلة نصف راضية، نصف متحيرة، ولكنها تصمت...

شقة دور أرضي، واسعة لتجمع الأحباب، في أقرب نقطة من مسجد سيدي شبل، يثبت عم العمدة لافتة خضراء كبيرة تعلوها صورة الزكية، مدخل آل البيت، العمدة إبراهيم العشماوي بن الشريفة زكية عبد المطلب ...

يكنس هو والجليلة ومصطفى أرضية الشقة، يشتري عدسا أصفر، ودقيقا،

يقوم بطبخ العدس، وتقوم الجليلة بعجن الدقيق وتخميره تمهيدا لخبزة، فغدا أول جمعة لهم، وسوف يهل الأحباب ولابد من إطعامهم ...

أي أحباب؟، وأنت الغريب ياعمدة أي زوار؟ وأنت الزائر الوافد، ولمن هذا الطعام ... ولكنه الورد، ما عليك إلا الورد ...

تمر الليلة ...ويمر الصباح .. ويؤذن للجمعة وتصلى ويهرع العمدة لمقر الخدمة الجديد، ليدخل عليه رجل، يستقبله العمدة ويهش له وتوضع له الطبلية عليها العدس والخبز والسلاطة، يعقبه اثنين فثلاثة تزدحم غرفته، فتفرش الصالة وتمد الأسمطة، يلهج الناس بالدعاء، فرحين متعجبين من طيب العدس،فرحين بالعمدة، سائلين عن سبب اسمه وعن شيخه والعمدة يحكي ويحكي ويحكي ...تارة عن الزكية

وتارة عن الحسين وتارة عن الأمير وتارة يقول من أشعاره في مدح الأمير، دعاء حار لأحدهم، مداعبة تجذب الضحكات، يترنم تارة بلحن جميل، من بعيد تلوح الزكية مبتسمة للعمدة، هاتفة في أذنه « ما عليك إلا طبخ العدس والباقي مش بتاعك ياولدي...»

يغيب العمدة في عالم مخملي، لتقترب الزكية وتجلس بجانبه بابتسامة تذيب قلبه المتيم ...

« عارف ياولدي، عمر الفراق ما هيرن بجرسه في أذن المحبين، ولكن الغربة قدرنا يا حبيبي، الغربة قدري وقدرك، قدر آ ل بيت جدي، وقدر كل العاشقين. « تنساب دموع العمدة عذبة حارة على وجنته وتلملم الزكية دموعه مشفقة... تشير الزكية لقلبها، فيظهر ضريح سيدي عبد السلام الأسمر بزليتين في ليبيا،

تستحيل ألوان العالم إلى لون أخضر رقراق، تتوحد كل أصوات العالم في نغمة بيانو تنادي، يجيبها كمان تائه حزين، بلحن لم تسمعه أذن من قبل، ذات اللحن الذي انساب بأذن آدم أول يوم على ظهر الأرض.

***

«١٥»

أخذه العشق كل مأخذ، بدون هوادة سلب فؤاده، والأجل قد دنا، والزاد قد نفد، كم تمنى لو كان في ذلك الركب، موكب العشق الحسيني الكربلائي، كم تمنى لو جاد بنفسه بين يديه عليه السلام، وحينما تفرق الأماكن عن المراد فالعشق صعب، ولكن هيهات لعشق فرقته الأزمان.

نعم سيترك ثروة كبيرة، فلتكن منارة الحسين أعظم مئذنة في القاهرة، يكتب وصيته لولده الأصغر « تقربا لله ورفعا لمنار الإسلام، أوصي ،أنا، الحاج أبو القاسم بن يحي بن ناصر السكري المعروف بالزرزور بإنشاء مئذنة مباركة على باب المشهد الحسيني بالقاهرة ...»

ولما فرغ من كتابته، سمع طرقا على باب منزله، فأسرع بوهن ليفتح، فإذا فارس

جميل الهيئة، ابتسامته كشمس مشرقة، وكأن العافية وسنين العمر المنصرم قد ردت إليه، يحدثه الحسين برفق :-

لم يمض الركب بعد يا زرزور، نحو في انتظارك من زمن، ألحق بنا ...

يلقي أبو القاسم نفسه على عتبة بيته ويمضي بعيدا، ويتبع الحسين، في موكب العشق سار ...ولا ملام ...

***

وهل يصح ذلك، لم نسمع من قبل عن شيخ امرأة، كل مشايخ الطريق من المسلكين كانوا رجالا، إن هذا لشئ عجاب، كيف يجرؤ على تغيير كل ذلك بلافتة على باب خدمة بجوار مسجد الأمير، كيف يخرق كل تلك الرسوم المتوارثة، والناس عليه في إقبال غريب، يطعمهم العدس ويابس الخبز، ويترنم في آذانهم بأشعاره والناس سكاري في حضرته، لابد

من وضع نهاية لهذا الهراء...

يدخل مغاضبا على العمدة، والناس بالعمدة تحيط، يقوم العمدة منتفضا من مكانه، وكأن ملكا قد ولج خدمته، تملأ البسمة وجهه ...

- إيه يا عمدة، معملتش حسابنا في العدس ولا إيه؟

- العدس بس، الدنيا كلها لك يا أمي...

يقوم الناس مرحبين، غير مصدقين أنهم وجها لوجه مع الزكية سليلة الدوحة الحسينية، مع تلك الذي يصدح هذا الغريب مغردا باسمها وجدا، كلما وجدوه، ترحب الزكية، تبارك أرواحهم بدعائها وتغسل صدورهم ببسمتها، تأخذ صدارة المجلس والعمدة يرص الموائد، والناس قد علمت حضور الزكية، توافدوا وحدانا وزرافات وامتلأت الخدمة بالزوار، ليجلس المعترض مع الجلوس ويطعم من طعامهم،

والزكيــة ترمقــه مــن حــين لحــين، تبــدأ في الحديــث ...

ومــن رئيســة الدواويــن ؟...زينــب، مــن أم أبيهــا خاتــم المرســلين وأم الحســنين ؟... فاطمــة، ألم يهــب اللــه الكرامــات لمريــم وبنــص الكتــاب، ألم تهــز جــذع نخلــة، عــصي عــلى العصبــة أولي القــوة مــن الرجــال، بلمسة إصبع واحدة، نعم أنا الزكية بنت الحسين ولا فخر، أنا مربية الرجال ولا فخر، أنا صاحبة الغربال الزينبي، أغربل به المحبين ولا فخر، من أردته أرادوه، ومن طردته طردوه ..."

تنظر بقوة إليه، وتوجه حديثها إلى المعترض في وسط دهشة الحضور :- ولا لسه معترض؟"

يستولي الذهول عليه وكان قد دهش من حديثها يستبعد حينا كونه المخاطب، فمن أدراها بحديث لم يدر إلا في صدره وحده،

ويشك حينا لدقة إصابة خطابها لما في قلبه، الآن يتأكد فيهتف مستعطفا :-

السماح يا بنت الحسين، تبتسم وتقول ...

و قد سامحناك ...، يفرغ الناس من طعامهم وتبدأ الحضرة ويرتفع الذكر والإنشاد ..

ترتفع المنارة على باب الحسين الأخضر، لتطال السحاب، وليطال عشق أهل الأرض أولئك الذين اتخذوا السماء مسكنا، وقد فرغ الخطاط من كتابة اللوحة بالخط الديواني على قاعدتها ...

« وكان المباشر بعمارتها ولد أبي القاسم بن يحي الأصغر، من ماله الذي أوصى به، وكان فراغها سنة ٦٣٤ هجرية من شهر شوال المبارك، والحمد لله رب العالمين ».

***

«١٦»

منذ انفصالها وهي ضيفة على أخيها القاضي الشرعي عمر عبدالمطلب بمحكمة منفلوط، لم تترك من مقام في الصعيد بغير زيارة، لم تترك من آل البيت بدون ود مستمر، لم يبق لها من رمق نفس إلا وقد بذلته، ما يغمض لها جفن، إلا وترى سيدي عبد السلام الأسمر، يأمرها بالخلوة في جواره، تتردد كثيرا قبل أن تخبر أخاها ...

- ليبيا؟ ،طيب ونفسية، وهتسافري من غير محرم إزاي؟

- ده أمر يا عمر وأنت عارف ...

- سمعنا وأطعنا، ولكن الضوابط الشرعية يا أختي...

- يا أخي أنا فكرت في كل ده ... المحرم موجود...

- من؟

- أخونا في الرضاعة، أخوك محمد الفيتوري... وبالنسبة لنفيسة هتكون معايا ...

- ده أنتي مدبرة كل حاجة بقى ...

- لا، فاضل حاجة ...

- خير؟

- النفقة ...

- كل ما أملك تحت أمرك يا زكية...

- لا ...من مالي يا عمر، الفدان نصيبي في ميراث أبي الله يرحمه، تشتريه، وبفلوسه أصرف...

تدخل الزكية الخلوة مع رضيعتها نفيسة، يرعاها أخاها من الرضاعة الشيخ محمد الفيتوري، وتظهر بركاتها وكراماتها بزليتين ليبيا، يأتيها المريض فتدعو له، فيشفى بأمر الله، وذو الحاجة فتكون سببا لقضاء حاجته، تتم العامين في خلوتها، ثم تنفد النفقة، فتعلم الزكية

أنــه الإذن بالخــروج مــن الخلــوة، ترفــض برفــق كل محــاولات أهــل زليتــين لإبقاءهــا في ليبيــا، تــأبى كل محاولاتهــم لإنشــاء زاويــة للخدمــة باسمها، يودعونهــا باكــين، يعدونهــا بزيارتهــا في مــصر...

-لا بــد مــن ســكن مســتقل يــا عمــدة، يعنــي هنقيــم في مقــر الخدمــة طــول حياتنــا...

- أمــر ضروري بالفعل، لابد من ســكن مســتقل، ولكــن مــا الحيلــة والمســاكن الحكوميــة يلزمهــا واســطة، ولكنــي لا أســأل أحــدا غــير الله ...

- ضيوفك ومريديك من المهمين كتير ...

ينظر العمدة للجليلة زوجته بغضب...:

"عــاوزاني أطلــب أجــر الخدمــة؟، يبقــى لســه معرفتنيــش ..."

تحجــم الزوجــة المحرجــة عــن الجــدال، وتومــأ تســليما ...

***

- يا عمدة، لسه نايم يا ولدي ...

- أمي ...

- قوم يا عمدة حضر الخدمة للضيوف...

يستيقظ العمدة مستبشرا، فرحا، يعد العدس للضيوف والساعة لم تتجاوز الواحدة بعد منتصف الليل، لم تتعجب الجليلة، فلم يعد العجب من مفردات حياتها بعد كل هذه الصحبة، قامت لتعد العجين، وقد أخذ العمدة في الغناء بصوت شجي ...

«ويا روحي ساعة ما القاك، مش بس اوقاتي بتحلو، دي العيشة والناس والجو...»

- بسرعة !...استيقظ ياجدع أنت قبل ما حد يصحى ..!

يستيقظ ،وينسلا خفية من باب القصر الخلفي، وقد ارتدى جلبابا بلديا، وتلثم بعباءة، يركبا سيارة مرسيدس سوداء ... بسرعة، قبل ما حد يقوم، ضاحكا :هتبقى حكاية ...

الـواد كبـير اليـوران هياخـد فيهـا جـزه ... عمـلي ناصـح قـوي ...

يبتسـم السـائق ويهـز رأسـه بمحبـة وفـرح لكونهـما معـا وحدهـما، مـن زمـن وهـو يرافقه مـا رأى منـه غـير الـود ولـين الجانـب ...

- على فين ان شاء الله ...؟

- بسرعـة عـلى الشـهداء، نلحـق نصـلي الصبـح في سـيدنا الأمـير، شـبل الأسـود ...

- مدد ...

- ألف مدد ...

يدخـل بعصاتـه وهيئتـه ووجهـه البشـوش الأسـمر، محييـا الأمـير، يفطـن لوجـوده المصلـون.

- الريس ...

يضـع الرئيـس أنـور السـادات سـبابته عـلى فمـه.

- مافيـش ريـس هنـا كلنـا في رحـاب الأمـير مرؤوسـين...

يصلي الصبح، كلما ضاق صدره كلما جاء هنا في رحاب الأمير، بلا حراسة ولا جلبه، صحيح أن الحرس دائما يكتشف ولا يتركه إلا وهرع إليه لمكانه، ولكنهم اعتادوا على ذلك، خاصة حينما يكون بقصره الرئاسي بميت أبو الكوم التي لاتفصلها عن الشهداء سوى بضعة كيلومترات، ترن أصوات السيارات والموتوسيكلات من الخارج، ويدخل رئيس الحرس المسجد ...

- ياريس ده معقول ...؟!

- أنا في وسط أهلي، (ثم يقهقه ضاحكا ...)

- إزاي تسيبوا الرئيس يهرب منكم .. ؟

يضحك الجميع مستبشرين فرحين، شاعرين بترحيب الأمير.

يخرج السادات ومن معه لميدان سيدي شبل، لتقع عين الرئيس على لافتة خدمة الزكية، يشير لمرافقيه أن هلموا للخدمة...، يدخل الرئيس على العمدة الغير مصدق

لما يرى، يضاحكه ويباسطه ..

- ما فيش أكل عندك ولا إيه...؟

- لا، أنا كنت منتظر من الساعة واحدة ،هي قالتلي أنكم جايين، بس مكنتش أعرف أن الرئيس هو إللي جاي ..، يستفسر السادات بعينيه مندهشا ...

- محدش يعرف إني جاي هنا ..

- لا يا ريس احنا عندنا مخابراتنا الخاصة... يضحك السادات ..

- طيب أحكي يا ...

- العمدة ..العمدة ياريس ...

تمد الطبالي، وتوضع أطباق العدس الساخن، وأرغفة الخبز الصبوح، والجرجير ،المخلل، يقبل الرئيس ووفده على الطعام بشهية، يتابع كلمات العمدة، يهتف بسعادة مع كل لقمة وكلمة «الله» ..

- كنا واحنا صغيرين يا عمدة نأتي رحاب الأمير جعانين، ويكرمنا بالخبز والعسل

الأسود، دلوقتي العدس والخبز.
كان خبر قدوم الرئيس قد انتشر في الشهداء، فحضر مسؤولو المركز كله لاستقبال الرئيس في مقر خدمة الزكية...،
يبادر الرئيس ضاحكا:
- وفين بيتك يا عمدة ؟
- ما عنديش والله ...
- يعني عمدة ومن غير بيت خاص، باين عليك عمدة فالصو !
يقهقه ضاحكا ،
يسأل رئيس مركز الشهداء:
- أخبار الإسكان الشعبي عندكوا إيه ؟
- فيه خمس عمارات هيتسلموا الشهر الجاي للمواطنين ياريس...
- أول شقة تكون للعمدة ...
ينصرف الرئيس مودعا ،سعيدا، مستبشرا...

***

«١٧»

« ياستي مقدرش أمد إيدي لحد !»

نفد ميراثها ولم يعد لديها من نفقة، وبآخر قروش تملكها، استقلت حافلة عامة تمر على مقام المشيرة زينب، وحينما دخلت حضرة المشيرة، تمدد نور أمام عينيها، يرحب داعيا، يأذن بدخول الحضرة الزينبية، وتتوالى المشاهد على بصرها تترى ...

يربط النبي حجرا على بطنه، يمشي الهويني يمر بأخبية بني هاشم في شعب أبي طالب بمكة ،يبحث عن كسرة خبز يقيم بها أود ابنته فاطمة، يلمح من بعيد أحدهم يجفف أدمة ويهم بتناولها ...يصعد الرسول بصره للسماء، صوت بعير يركض نحو الرسول بلا خطام، محملا بالأطعمة...

يرفع الحسين ولده عبد الله يصيح ظمأ...
« اتقوا الله في هذا الصبي، شربة ماء لولدي هذا ...»، يعاجله سهم فيصيب منحر الصبي .. يرفع الحسين كفه ممتلئة بدم الصبي المحتضر، ويقذف بالدم لأعلى ليطال عنان السماء، فتستحيل زرقتها حمرة قانية ...
«إن كان يرضيك هذا القربان، فقد رضينا»
سكينة ورقية تطلبان من زينب شربة ماء وقد شفهما العطش، ومن أين لبطلة كربلاء إجابتهما. وهن جميعا في الأسر بطريقهن لدمشق، لتجيب زينب «عزيز علي أن لا أجيبكما ياقرتا عيني، يشرب كلاب العراق من فراته، ويمنع منه آل محمد، لك العتبى يارب حتى ترضى ...» تنساب دموع الزكية، تكفكفها، تهمس لزينب العقيلة « المعذرة ...رضيت ...، المعذرة رضيت ..»

تبتسم زينب « يا بنيتي حبنا ليس بهين، وإلا ادعاه كل مدع ...، احنا مسكناكي غربال تغربلي بيه أحبابنا...، الصبر وسيأتيك الخير لغايتك ..».

يدخل مستأذنا، بهيا، جميلا، وكأنه قد نبت على شاطئ من أنهار الجنة، يتساقط المسك من جمته، تراه المشيرة، فتضع يمناها على رأسها إجلالا، تراه الزكية فينساب دمع الوجد صبوحا شجيا ،يوجه الحديث للمشيرة:-

جاء الأمر يا رئيسة الدواوين ..

تبتسم وتربت على كتف الزكية :-

هو الفرج يا بنيتي، ..يخرج، فتخرج الزكية في إثره، وفي أقل من لمحة طرف، ينتقلا ها هناك من حي السيدة لحي الجمالية، تحديدا، أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير، حيث حضرة عامرة، ظاهرة، خفية، يراها من أذن الله له، يدخل

الخـضر لصـدارة الحـضرة، يشـير للزكيـة، فتقـف عـلى يمينـه.

يقـول المقريـزي « إن صـلاح الديـن الأيـوبي أمـر بتحويـل دار سـعيد السـعداء، أحـد الأسـتاذين المحنكـين خـدام قـصر سـيدنا الخليفـة المسـتنصر باللـه الفاطمـي إلى خانقـاه لفقـراء الصوفيـة الواردين من البلاد الشاسـعة ووقفهـا عليهـم سـنة ٥٦٩ هجريـة ،وولى عليهـم شـيخا، ووقـف عليهـا بسـتانا بالحبانيـة بجـوار بركـة الفيـل وغيرهـا مـن الأوقـاف خـارج القاهـرة. وتوجـد بقايـا هـذه الخانقـاه الآن بحـي الجماليـة أمـام خانقـاه بيبرس الجاشـنكير ...»، فكانـت أول دار للصوفيـة بمـصر والعـالم، بعـد خانقـاه البـصرة التـي بناهـا زيـد بـن صوحـان بـن صبره ...

وكان قـوام الحـضرة رجـال وسـيدات الديـوان الباطنـي، وكان الخـضر ينـوب عـن المشـيرة

في قيادتها، ليقوموا في النهاية بالترحيب بالزكية، وإعطاء الأمر لتجدد الزكية عهد الخانقاوات، ولتكون خدمتها ب ٢٩، درب الطبلاوي، الجمالية، القاهرة، أكبر خدمة في مصر ...

***

يحضر من المدينة المنورة المقداد بن الأسود ومعاذ بن جبل وعبد الله بن عمر، ليعقدوا عقدة نكاح الفضل بن العباس على ميمونة الحبشية، وفي يوم الخميس، الثاني عشر من شهر رجب العام التاسع للهجرة، تضع ميمونة حملها، ذكرا، نبيلا، جميلا ...

ليصل رسول رسول الله إلى الحبشة، يأمر الفضل باصطحاب زوجته ووليده ليباركهم ...

يقبل النبي ابن الفضل ويمسح على رأسه وظهره ...

- ما اسمه يا فضل ؟

- يا رسول الله هو ذا بين يديك فسمه ما شئت...

- يا فضل ولدك هذا اسمه كاسمي ...

يقبل الحسن والحسين وبيد كل واحد منهما منديل، ليسدل كل منهما منديله عليه ...

أرسلتنا أمنا الزهراء بهذين إلى ولد عمنا محمد بن الفضل .

ثم أمر النبي الفضل بالعودة إلى مدينة برقان بالحبشة، فعادوا، يعلموا الناس القرآن والإسلام، ومحمد يشب في اليوم الواحد ما يشبه غيره من الصبيان في الشهر، ويرزق الفضل بسبع بنات هن زمزم،حليمة،أم الرضا، عاتكة، أم السعد، أم الخير، وزكية ...

يصلي العمدة إبراهيم العشماوي العصر بجامع سيدي شبل، وينطلق بسجل لمقابلة

الزكيــة، وكانــت قــد أمرتــه بتدويــن أسـماء أطفــال الفقــراء واليتامــى، ففــي الباحــة الخلفيــة لخدمــة الزكيــة شــيدت عمارتــين كبيرتــين لإيــواء كل مــن كتبــه العمــدة في سـجله تمهيـدا لإلحاقهـم بالأزهـر وليشـهد حــي الجماليــة نشــأة جيــل مــن العلــماء كفلتــه الزكيــة ...

***

«١٨»

سرب كبير من الحمائم يسبح بين أمواج النور الوليد الزاهي، المنطلق لتوه من ثغر الشمس الباسم المبشر، يتشكل على دوائر متداخلة حينا، متجاورة حينا، مشكلا لفظ الجلالة الأعظم، متداخلا ليشكل اسمها ،حروفا، تلهب القلب الهائم الوله، والعشق حين يكلل بتاج شوك، ينتزع بلا هوادة آهات من صدر أدماه الفراق، جينات الحزن واللوعة المتوارثة من آلام آدم الحزين، هذا الإرث المتجدد السرمدي، بتجدد موجات البشر، يتشبث هذا الحزن، يشد ناصيتك من ميلادك بلاهوادة، لا تدري منه مهربا فتلوذ به، ولا ملجأ فتهرع إليه، وحينما لاح اسمها في السماء، انسابت العبرات.

تتسلل نغمات الكمان بخفة، تتخفى من بعيد وراء نغمات البيانو المعانقة، لتنقض على نغمات الناي الفاضح لسر الحزن «

ما كان هذا من خططنا؟ «، الحزن يظل حزنا بلا بوح، الحزن يحتفظ دائما بسر مقدس لا يقال، وإلا فقد قداسته.

تتشابك نغمات البيانو صارخة،باكية، تسفح دموعها سفحا على وجنة نغمات الناي المحتضرة تحت طعنات نغمات الكمان الغاضبة، لحنا تتصاعد نغماته، فتتداعى نغمات الناي مستندة على كتف نغمات الكمان النادمة.

«لكن مقابل البوح الدماء» .

تنصب الموسيقى في أذن الوجود الثمل الغائب، فيترنح بخطوه الثقيل، تتساقط من ثغرة قطرات الخمر النبيذية، فتسكر مفردات الكون ...

تصعد الزكية بأنفاس لاهثة، بنبضات خافق ثمانيني، تصل لشقة إبراهيم العشماوي العمدة، تنظر لابنها العمدة المشفق وتبتسم ...

- اثنان وثمانون درجة يا ولدي ...

- معلش يا أمي...

تدلف الزكية ومرافقيها شقة العمدة، تلهج بالدعاء لأهل بيته، ينشط كل من في البيت لاستقبالها، ينشغلون في إعداد طعام فاخر، ينساب الذكر من الدور الخامس بلوك»١« المواجه لثانوية سيدي شبل التجارية بالشهداء ...

- زيارة من غير معاد يا ولدي ...

- بس كان قلبي حاسس بيها من صلاة الصبح، وسرب الحمام باح لي سره.

***

تسقط شعلة نار صغيرة من شمعة بيد خازن بيت الشمع، بالطرف الغربي من جامع إمام الشهداء الحسين بالقاهرة، تتسلل رياح خريف العام ستمائة وأربعين هجرية، يزداد وهج الشعلة التي غفل عنها الخازن، وتتمدد للسان نار، يلوك بسرعة

أطراف السجاد الفارسي المستغيث بصمت، تتوالد ألسنة النيران بسرعة رهيبة، تزدرد النفائس الخشبية والستائر والسجاد، تصل لصحن الجامع، تنفجر الألسنة النيرانية لتطاول مئذنة جامع الحسين، يهرع سكان حي الحسين والأزهر والجمالية وبين القصرين والدرب الأحمر، ينتظمون في صفوف طويلة وآلاف الأيادي تسلم لبعضها البعض دلاء المياه، لتنفض وجه النيران الوحشي، يصك خبر الحريق مسامع القصر السلطاني الأيوبي، فيثب الملك الصالح نجم الدين أيوب من فراشه، لاسطبل خيوله الملكية، ممتطيا وجنوده وحراسه ووزراءه ظهور خيولهم منطلقين صوب الجامع الحسيني المشتعل، تقف ألسنة النيران لاهثة، ممزقة على أعتاب قبة ضريح الحسين خاشعة، بعد أن أتت على الجامع كله لم يبق منه غير الضريح المبارك

والبـاب الأخـضر وقاعـدة مئذنـة الـزرزور . يبكي الصالح نجم الدين ووزراءه، تتسارع سنابك خيول البريد الأيوبي، مخبرة بنذير هجمة صليبية جديدة تعتزم غزو ثغر دمياط...

***

وبعدما فرغوا من طعامهم، إذ الزكية تحدث العمدة همسا مخبـرة إياه بأنها ستغادر من عنده معتزمة الخلوة بخدمتها المباركة بجوار سيدي أبي الحسن الشاذلي، لم يكن من عادتها ذكر الخلوة حينما كانت تنوي زيارة لقطب الأقطاب، لم يكن من عادتها الخروج من غير جامع الحسين، كل شئ غريب المرة، لاشئ مألوف على الإطلاق، تهاجم الوساوس إبراهيم، فيجيب الدمع منسابا، حارا ...لا يملك العمدة غير إلقاء السؤال تلو السؤال بعينيه، تطلب منه صحبتها لجامع الأمير شبل الأسود... اثنـان وثمانـون درجـة في معـراج العشـق، اثنـان وثمانـون مقامـا مـن مقامـات الولايـة،

اثنان وثمانون ابتلاء بعطاء وسلب، لا غاية غير العشق، لا غاية من الشوق غير مزيد من الشوق، لا غاية من الارتواء غير الموت شرقا برحابات العشق النابض، المعتزم الفناء .

يدلفا الضريح، تستقبلهما عطور البخور، تهمس لهما بهمهات غريبة كعشق غريب، توجه الزكية الحديث له ...:

- لا ..لا، بل هناك ...

- .....

- نعم أطلب إذنكم ...

- .....

- ابن عمك الحسين قد أذن...

- .....

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

يغيب العمدة ،تتبخر كل الأصوات، لا يبقى في إدراكه سوى هذا الحوار، إذن من الحسين، هو الخير بلاريب، ولكن

هـل نسـعد بـكل صـور الخـير؟، التسـليم إذن هـو الملجـأ، ولكـن هـل يسـلم القلـب ،يتقافـز القلــب متســائلا، مشــغبا، باكيــا ...

- رفقتك يا أمي...

- لا، ســتبقى بخدمتنــا في الجماليــة، مــن ســيقيم الحــضرة غــيرك ؟

- يقيمها أحد إخوتي...

- لن يقيمها غيرك يا حبيبي ..

بعــد دهــور انتظــار وشــوق تجــود الأزمــان بلقــاء، تنفجــر الأقطــار بموجــات غــير منقطعــة مــن فراشــات بــكل ألــوان الكــون، تنبعــث نغمات النــاي هامســة بــسر جديــد، تنتظـر طعنـة عقـاب البـوح، بشـوق تنتظـر، تنتظــر موتهــا المشــتهى بشــوق ...

... تســارع أسراب الحــمام لتشــكيل اســمها فــوق مئذنــة العشــق ...

***

«١٩»

ببزته العسكرية ألمانية الطراز، يجلس وسط جنوده، يتابع سرب طائرات مقاتلة بنظارته المكبرة، لكنه يرى شيئا آخر غير الطائرات، خيولا مجنحة تملأ الأفق السماوي، أصوات رعد يتخللها تكبير، يقف مندهشا، لتقف سيارة نقل جنود أمامه، يقفز ثلاثة جنود، يقترب أحدهم منه، يصوب بندقيته الآليه نحوه، يلوذ مرافقوه أسفل المقاعد، يشير إلى الجندي آمرا إياه بالتوقف، يعاجله بطلقة تخترق رقبته، تهبط الخيول المجنحة أرض العرض العسكري، تنطلق سهامهم نحو القتلة، يتوقف كل منهم مشدوها وكأنه تجمد مكانه، كانت خططهم أسر كل من في العرض من قيادات عسكرية وسياسية

ثـم إعـلان قيـام دولتهـم، وكأنهـم نسـوا أيـن هـم، يـودع الأرض ومـن عليهـا بنظـرة وادعـة، راضيـة، يخاطـب قائدهـم ...

- من أنت؟

- أنا هو، من كان يطعمك الخبز والعسل .

مـا كان هـذا عشمي يـا أمـير الجيـوش، كنـت أنتظـر باقـات الـورود في هـذا اليـوم، فلـم تكـن غـير هـذه الرصاصـة القاتلـة ...

- لا عليـك، ومـن قـال أن التاريـخ يسـير بخـط مسـتقيم، التاريـخ دائـري، لا عليـك ...هلـم معنـا ...

يبتسم مستبشرا، يمتطي أحد الخيول المجنحة، ويرتفع بصحبتهم إلى السموات المنتظرة .

***

واسـتولى الرومـان عـلى معظـم حصـون المحروسـة، وارتـد معظـم أهلهـا، بعـد فتحهـا الأول، فـكان لزامـا عـلى عاصمـة الدولـة إرسـال مـن يعيـد فتحهـا، ولكـن مـن لهـذه

المهمة، وقد ساد ارتباك ملحوظ بإدارة الدولة في أواخر خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث كان الحكم بن مراون الحاكم الحقيقي والمتحكم في ختم الخلافة، كانت الخطة استعادة مصر ،وتفريغ حاضرة الدولة من آل بيت النبوة، هكذا بضربة واحدة، وقد ذاع صيت هذا الشاب المحمدي علما وفتوى وفروسية وسياسة، فمن لها غيره، ليخرج محمد بن الفضل بن العباس على رأس جيش استعادة جوهرة تاج الدولة المترامية الأطراف، المأزومة بخلافاتها السياسية . جيش من ثلاثة وخمسين ألفا على رأسه الإمام محمد بن الفضل ...بضربة واحدة يا ابن مراون، بختم واحد ولتفتتح القائمة الطويلة.

***

قاصدا حميثرا حيث غادرت الزكية، يتوقف

به القطار عند محطة أدفو، باحثا عن مركبة تنقله وسط الصحارى الشرقية، ولكن الشوارع قد اختفى منها البشر، هدوء قد خيم على الأجواء كلها، والعصر لم يؤذن بعد، غلقت الحوانيت، والمقاهي، يتوجه نحو موقف السيارات، وقد أخذته الدهشة، تقابله لجنة شرطة عسكرية، تطلع على أوراقه..

- ما الذي أتى بك من وجه بحري ؟

- مسافر إلى سيدي أبي الحسن الشاذلي ...

- متعرفش إن فيه حظر تجول ؟!

- حظر تجول؟ ليه ؟!

ينظر إليه الضابط متعجبا ...

- متعرفش أنهم اغتالوا الرئيس؟

- الرئيس السادات ...

يخبره الضابط باستحالة وصوله لحميثرا، ففضلا عن كونه حظر تجول، إلا أنها منطقة حدودية محظور على غير العسكريين الدخول إليها أو الخروج منها مؤقتا ...

يعاود العمدة إبراهيم العشماوي أدراجه نحو محطة إدفو، حيث تعلن إدارة المحطة توقف سير القطارات، يجلس العمدة على أحد المقاعد تتنازع في صدره مشاعر حزن ولوعة، وماذا فعل لهم حتى يقتلوه؟، وماذا فعلت حتى أحرم من صحبة أمي، يخرج سبحته ويردد أوراد الاستغاثة الشاذلية ...

- بتبكي ليه يا ولدي ؟

- قتلوه يا أمي...

- متزعلش هو معانا يا حبيبي ..هات إيدك...

- يمد العمدة يده للزكية ...

***

يجلس الموسيقار محمد الكحلاوي مع صحبة من أبناء الزكية على أبواب ضريح أبي الحسن الشاذلي، يتحدثون عما حدث في ساحة العرض العسكري وعن مستجدات الأمور، يتوقف الكحلاوي عن

الكلام وينظر بدهشة نحو باب الضريح ...
- الله ...مش ده العمدة إللي طالع من عند سيدي أبي الحسن ؟!
- نعم، هو بشحمه ولحمه ...
- هو كان معانا في رحلة القدوم ...
- لا ...!
يسرع الكحلاوي نحو العمدة آخذا بيده ...
انتوا هتجننونا يا أولاد الزكية ؟ جيت إزاي؟
- أمي فين ؟
- مش هسيبك غير لما تقولي ...
يبكي العمدة من شدة تأثره، فيرق له الكحلاوي ...
- خلاص يا إبراهيم ما تبكيش ...
يصحبه لخلوة الزكية مستأذنا، ترحب الزكية فرحة ...
- شوفي ولادك إللي هيجننونا دول، جه ازاي في الظروف دية ...
تراوغ الزكية ضاحكة ...

- خليك في إنشادك وألحانك يا كحلاوي ... تأمر الزكية ببسط طعام العشاء، يأكل الأحباب جميعا، وسيل هادر من الحديث الصامت، من النظرات والعبرات لا ينقطع بين العمدة والزكية، تبدأ الحضرة بعد فراغهم من طعام العشاء، يرتفع صوت الكحلاوي منشدا .

ما لي سِوى روحي، وباذِلُ نفسِهِ،
في حبٍّ منْ يهواهُ ليسَ بمسرفِ فَلَئنْ
رَضيتَ بها، فقد أسْعَفْتَني؛
يا خيبة المسعى إذا لمْ تسعفِ
يا مانِعي طيبَ المَنامِ، ومانحي
ثوبَ السِّقامِ بهِ ووجدي المتلفِ
عَطفاً على رمَقي، وما أبْقَيْتَ لي
منْ جِسميَ المُضْنى، وقلبي المُدنَفِ
فالوَجْدُ باقٍ، والوِصالُ مُماطِلي،
والصّبرُ فانٍ، واللّقاءُ مُسَوّفي..

***

«٢٠»

لم يكن غير أعرابي يهيم بأغنامه متتبعا مواطن الكلأ، ومظان الري، يديم النظر نهارا لسماء شحيحة الغيم تكبح حينا لظى شمس حارقة الأتون، تحمل حينا بشريات قطر، وحينا تعد ولا تفي، وليلا مهتديا بدروب نجومها ملتمسا دروب الصحارى التوأمية، وحيدا ما من صديق ولا رفيق، غير ناقته تكفيه مؤنة السير الطويل، وتهبه من لبنها موفرة له حاجته من الغذاء الشحيح، أدمن الحديث معها، يبثها مخاوفه، يشكو لها وحشته، وكان سالم الأعرابي مختلفا عن كل رعاة الصحراء الشرقية وساحل البحر الأحمر، كثير الصمت والتأمل والنظر للسماء،لو أنه عاش في عصور الشعر الجاهلي لكان حتما من فرسانه وأصحاب معلقاته، كانت

خيمته من خيش وصوف غنم، وسط الصحراء على حافة مدق صحراوي يسلكه قاصدوا مقام أبي الحسن الشاذلي أو حجاج بيت الله الحرام وجهتهم ميناء عيذاب، وكانت خيمة سالم الأعرابي ملاذا لأولئك كلهم، ينزلون عليه في رحلتهم السنوية، يقصدون الاستجمام من طول سفرهم في تلك الفيافي الشاسعة، يستقبلهم سالم ويقدم لهم من لبن ناقته أو لحم أغنامه، لم يكن يعلم عن قطب الأقطاب وكهف ملجأ الطلاب الشاذلي شيئا، غير قليل من حديث يتسامر به هذا أو ذلك من قاصديه، هل ورد في خاطر سالم الأعرابي أن يكون مقصدا للشاذلي أبي الحسن ذاته؟! يوقظه من الحين للآخر: « قم يا سالم أغث فلانا قد تاه في البقعة الفلانية !!» يمتطي ناقته للمكان المعين، فيجد من أوشك على الهلكة ظمأ وروعا، التقمته

الصحـراء بفكهـا المهلـك، غـرر بـه أو بهـم غـول التيـه الشـقي، في المـرة الأولى حـين زاره الشـاذلي أنكـر، فألـح عليـه كلـما أغمـض جفنـا، حتـى انصـاع فوجـد ثلاثـة على شـفير الهـلاك، فآمـن سـالم الأعـرابي، وكانـت عادتـه بعـد ذلـك الهيـام في أرجـاء المتاهـات ليـلا، سـواء زاره أبـو الحسـن أو لم يـزره، كم أنقـذ، وكـم أغـاث سـيدي سـالم صاحـب المقام والقبـة التـي شـيدها سـيدي السـيد البـدوي عـلى قبره، هكـذا اسـتيقظ مـن اسـتيقظ، فوجـد المقـام والقبـة وشـاهداً مكتـوب في أسـفله "شـيد بأمـر السـيد القطـب البـدوي الأحمـدي "، سـيدي سـالم بوابـة سـيدي أبي الحسـن الشـاذلي يفصـل بـين المريـد والشـيخ المرشـد مائـة ونيـف مـن الكيلـو مـترات، فصـار مهبطـا للزائريـن بعـد انتقالـه كـما كان في حياتـه.

وهـا قـد حـل خمسـتهم أرخـوا جـد سـيرهم

عند مقام سيدي سالم، لينامو قليلا بهدءة الليل بعد تناولهم لقيمات وشربات، لينفخ غول التيه في مئات الأطنان من الرمل الناعم يدفن بها كل أثر للمدق المحفوظ، يذعرهم بصوته الرهيب، يسوقهم بسوطه بعيدا، ليتعثروا بفك الصحراء الفاغر، ثلاثة أيام وليالي يدورون حول أنفسهم وقد نفد زادهم في اليوم الأول، تلهبهم الشمس، وتجففهم رياح الصحراء الصر، كانوا يقصدون رحاب أبي الحسن، فاستقبلهم الله في رحابه، وغاثتهم الملائكة بكؤوس الخمر واللبن والعسل، وكأن ما مسهم يوما نصبا ولا مستهم ساعة خوف، يجودون بأرواحهم.

ليست المرة الأولى التي يهلك بها بعض قاصدي زيارة الشاذلي تيها في الصحراء الشاسعة، ولكن المرة بخلاف كل مرة فقد كان الخمسة من علية القوم، تكتشف

طائرة الهليكوبتر مكانهم، وتطير الأخبار للزكية ومرافقيها بحميثرا تبكي وتصر على ضعفها وشيخوختها الذهاب لموقعهم بعمق الصحراء، تصلي عليهم بعد أن يقوم مرافقوها بإعدادهم لمثواهم الأخير، يأنس ذويهم لها، تظلهم بركتها، وترجوهم السماح بدفنهم في تلك البقعة التي قضوا بها، ففي ذلك شفاعة لهم ونور، فيوافقون، ويُبنى عليهم مقامٌ تطلق عليه الزكية مقام الشهداء الخمسة.

يتفقد محافظ البحر الأحمر اللواء ممدوح العفيفي المنطقة والمدق ومكان فقدهم، ويخبر من مساعدية أنه لا مكان مأهول في تلك البقعة غير خدمة الزكية بجوار مقام سيدي أبي الحسن الشاذلي، ينزل في ضيافتها، فتكرم وفادته ومرافقيه، وتشكو له عدم اهتمام المحافظة بتلك البقعة على أهميتها وتطلب منه طلبا واحدا،

وهو تعبيد وتسفيل المدق الصحراوي بين سيدي سالم وسيدي أبي الحسن، فكل حوادث التيه لا تحدث إلا في تلك البقعة شديدة التغير بفعل العوامل الجوية من عواصف وسيول ولن تكون الحادثة الأخيرة طالما بقت الأمور على حالها، يتفهم المحافظ، ولكنه يعتذر لعدم وجود ميزانية معتمدة لذلك، إعداد طريق مثل هذا يحتاج حوالي خمسة ملايين جنيه، وهو مبلغ لن يتوفر الآن، ولا حتى في الميزانيات القادمة لمثل هذا الغرض، تغيب الزكية في دعاء صامت ضارعة بكفيها للسماء، ثم تلوح ابتسامة عذبة على وجهها وتنادي على العمدة العشماوي ...

- يا عمدة هات، يا ولدي البك بتاعي من عندك ...

- حاضر يا أمي...

يسرع العمدة بحافظة الزكية وسط

دهشة المحافظ ومن معه، تخرج الزكية ورقة مالية فئة الخمسة قروش، وتعطيها المحافظ :

- أدي الاعتماد يا سيدي، هم بقه !!

يعجب المحافظ من هذا الصنف الغريب من البشر، ويضع الخمسة قروش في جيبه، ويستأذن منصرفا، مغاضبا لظنه استخفافها به.

- باين عليه زعل يا أمي...

- معلش يا ولدي هو بس مش عارف

وتنصرف الزكية لتسبيحها وينصرف العمدة لخدمته ...

يستأذن في اليوم التالي رئيس مجلس إدارة إحدى شركات التنقيب عن النفط والغاز، طالبا من المحافظ إصدار امتياز تنقيب عن اكتشافات بترولية وغازية مرتقبة في صحراء مصر الشرقية لشركته، يطلب المحافظ تبرعاً للمحافظة بقيمة خمسة

ملايـين جنيـه ...

يخـرج رئيـس مجلـس الإدارة دفـتر شـيكات ويحـرر شـيكا بقيمـة المبلـغ المطلـوب، يخـرج المحافـظ منديـلا مـن جيبـه، فتخـرج عملـة الزكيـة ذات القـروش الخمسـة في يـده .

***

«٢١»

بعد أسبوع يباغته مغص كلوي شديد، تسرع الجليلة زوجته بالبحث عما يشد به جانبيه ...تأتي بشال من زمن وهو على أحد رفوف دولاب ملابسه ... باكيا، ينظر لصورة الزكية ....

***

وحينما توقفت النيران على أعتاب ضريح أبي الشهداء، لامت أيام الدهر هذا اليوم واشتدت عليه،..

- كيف وكيف ؟،

- ماذا تقولون إذا ليوم كربلاء ؟، يشير ليوم منكس الرأس مخزيا، ويكمل : وهل نسير معشر الأيام إلا على سير القدر وإن وطأ بخطوه الثقيل، فسحق ما عز يوما وعلا، لينخفض برأسه ويذل، وليعلو ما كان منخفضا ذليلا يوما، لتموت

ضحكات صاخبات، وتمسح عبرات داميات، وهل كان لنا ساعة من الأمر شئ ؟

الأيام تأتي، والأيام تذهب، وقادمات الأيام لن يكون لها إلا أن تكلل الضريح بتيجان القدر ...مشهد سيدنا الإمام أبي عبد الله الحسين بالقاهرة العامرة ...

لم يكن للقاضي عبدالرحيم البيساني شغلا غير ترميم الجامع الحسيني، فاعتزل القضاء وإلقاء العلم وألحق بالجامع بعد ترميمه ساقية وميضأة ...

وفي عام ٦٦٢ هجرية رفعت للملك الظاهر بيبرس البندقداري قضية موضوعها أنه قد ألحق بالجامع من قبل باب المشهد قطعة أرض غصبا وكانت من حقوق أيتام قصر، فغضب الملك غضبا شديدا بعد أن حقق في الأمر وأثبت القضاء أحقية القصر، وأمر برد ضعف قيمة الأرض للقصر، واشترى من ماله أرضا خلف الجامع فاتسع نطاقه

وزاد رونقه.

ولما بدأ الملك الناصر بن قلاوون خطته المعمارية لتطوير عمارة القاهرة بدأ بالجامع فأضاف لمساحته وأمر ببناء إيوان إضافي وبيوت ملحقة به لفقهاء العلوية وكان ذلك عام ٦٨٤ هجرية .

وفي عام ١٠٠٦ هجرية لما رأى السلطان سليمان خان عظيم إقبال المصلين والزائرين أمر بتوسعة الجامع وفرشه وإنارته بثريات شبيهة بتلك التي تنير قصر السلطنة بالأستانة .

ووسع الأمير حسن كتخدا مستحفظان الجلفي المشهد الحسيني ذاته فصنع له تابوتا من الأبنوس المطعم بالصدف والعاج بستر من الحرير المزركش .

يقول الجبرتي في عجائب الآثار من التراجم والأخبار « ولما تمموا صناعته وضعوه على قفص» أي التابوت « من

جريد وحمله أربعة رجال وعلى جوانبه عساكر من الفضة المطلية بالذهب، ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبلهم وأعلامهم بين أيديهم المباخر الفضية وبخور العود والعنبر، وقماقم ماء الورد يرشونه على الناس، وساروا بهذه الهيئة حتى وصلو المشهد الشريف ووضعوا ذلك الستر» الحرير» على المقام ..»

ولما زار السلطان عبدالعزيز خان المحروسة مصر عام ١٢٧٩ هجرية، أمر بفرش الجامع والمشهد بالفرش النفيسه وتنويره بالأنفاس الغازية في قناديل البلور ورتب له فوق كفايته من الأئمة والمؤذنين والمبلغين والبوابين والفراشين والكناسين، وأكرمهم .

وقد أنشأ الخديو عباس حلمي عام ١٣١١ هجرية حجرة الآثار النبوية في الطرف الجنوبي الشرقي من الجامع وهي

قاعة متسعة الأرجاء، مفروشة بالسجاد الدقيق الصنع المستورد من إيران وتركيا، وأناره بمصابيح وثريات بلورية نادرة، وقد كسيت جدرانها بالرخام المجذع ،وبها محراب صغير، وسقفها من الخشب المنقوش ونوافذها من الجص المخرم والمعشق بالزجاج الملون، أما دولاب الآثار الشريفة فقد وضع في الجهة القبلية من القاعة، وهو عبارة عن فجوة كبيرة في الجدار دعم ظهرها بقضبان من الحديد، وقد كسيت جدرانها وأرضيتها وسقفها بالجوخ الأخضر.

وأمر السيد الرئيس جمال عبدالناصر عام ١٩٥٩ من ميلاد السيد المسيح بتوسعة الجامع لتصل مساحته ٣٣٤٠ مترا مربعا بعد أن كانت ١٥٠٠ بإضافة ١٨٤٠ مترامربعا، فكانت أكبر توسعة للجامع الحسيني على مدار تاريخه الطويل، وكان ذلك بعد

رؤيـة كان فيهـا الرئيـس عبدالنـاصر رديـف أبي الشـهداء الحسـين عـلى فرسـه، وبعـد أن طـاف بـه أرجـاء الجامـع، ألبسـه أبو الشـهداء الحسـين جبـة متسـعة مـن الجـوخ، ففسرهـا بتوسعة الجامـع، وقـد أخـذت أبعـاد الأروقـة وقطاعـات العقـود وكـذا النوافـذ والأبـواب التـى اسـتجدت طبيعـة الجامـع القديـم فجـاءت التوسـعة كامتـداد طبيعـي للجامـع القديـم وبنفـس مـواد البنـاء الخـام مـن الداخـل والخـارج وأضيـف للجامـع طابقـان وأمـر بإنشـاء مكتبـة الجامـع لتبلـغ ١٤٤ مـترا مربعـا وتقـع في الجهـة الشرقيـة عـلى امتداد القبـة ومصـلى النسـاء، ولمـا كانـت الواجهـة القبليـة الرئيسـية للمسـجد القديـم عـلى غـير اسـتقامة واحـدة، فقـد أضيـف إليهـا مثلـث في الطـرف الجنـوبي الشرقي مسـاحته ٣٥ مـترا، فجـاءت الواجهـة الرئيسـية عـلى اسـتقامة واحـدة ،وأمـر بصنـع منبر جديـد

من الخشب العزيزي والجوز التركي والزان، ويتكون من حشوات مجمعة ومطعمة بالصدف والعاج والأبنوس ...
وقامت طائفة البهرة بأمر من قيمها وسلطانها الأغا خان الداعي العلوي الفاطمي الطاهر السيد أبو محمد طاهر سيف الدين بعمل مقصورة من الفضة الخالصة المرصعة بفصوص الماس الحر وكان ذلك عام ١٩٦٥ من ميلاد المسيح .
هكذا جلس الدهر بموكبه ينظر، لتتفاخر أيامه على بعضها البعض، فصرخت الأيام الحزينة باكية، على رأسها يوم كربلاء ..
وهل لنا من فعل؟!، كلنا أولاد القدر، تستوي الأحزان والأفراح، وسطور اللوح تنساب فينا، فلا فخر ولا خزي..

***

يترجل فارس، تاركا فرسه يخطو خطوات، يتشمم عشب الشتاء النابت، إثر زخات

مطر مضى، وبعصاة سلم ذات شعبتين يخط على الرمال مربعا كبيرا، فتنبت على خطوطه جدران تابوت أخضر، ثم مقصورة خشبية أبنوسية اللون، جوزية الضوع، ثم جدران تحيط بالضريح مشكلة مستطيلا ضخما، مرتفع الجدران، بقوائم عمودية في نهايته حاملة قبة عالية خضراء، على امتداد جبل حميثرا العاشق، ليقابل ضريخ الشاذلي ...

ينتفض العمدة سيدي إبراهيم العشماوي من نومه، هو من ليال ،كلما أغمض جفنا ،تزوره نفس الرؤيا، ينادي الفجر على ذويه، فيهرع العمدة بإناء الوضوء لأمه الزكية، فإذا بها في تسبيح وصلاة، فينتظر حتى تفرغ، وإذا بعصاة السلم ذات الشعبتين خلفها، لم يرها من قبل إلا في تلك الرؤيا المتكررة منذ ليال ..يلتقطها ويتحسسها ويتشممها، تفرغ الزكية،

وتلتفت إليه...

- كبرت ياولدي وشعرك أبيض...

- لكن لسه متعلمتش المشي يا أمي، لو سابت إيدي إيدك، تتلخبط خطوتي ...

- هتمشي يا حبيبي ...

- ليه ؟

- علشان مكتوب تمشي وتكمل مشوارك ...

- بس المشوار طويل ...

- زادك معاك، متقلقش ...

- ماليش زاد غيرك يا حبيبتي ...

يبكي العمدة بنشيج عال، لتقوم الزكية، وتهدأ من روعه...

- شوفت العصا دية ...

- أيوه، شفتها كتير ...

- طيب، هتروح للمكان إللي شوفته وهتخط على الأرض زي ما شفت الفارس بيعمل ... يصدع العمدة بالأمر ويفعل كما فعل الفارس في الرؤيا، يأتي البناءون ويشرعون

في بنـاء ضريـح الزكيـة ...
تدخـل الزكيـة الضريـح هـي والعمـدة، يتلـون القـرءان، يختمونـه في يومـين، وألـف ياسـين، وألـف تهليلـة وتسـبيحة ، وأرواد الشـاذلية ...و الغريـب أنهـم طيلـة الأسـبوع لم يخرجـوا مـن الضريـح لحاجـة أو لطلـب طعـام أو شراب، وحـين انتهـى الميقـات تخـرج الزكيـة مسـتندة عـلى العمـدة إلى خلوتهـا...
- يا ولدي لازم ترجع البلد ..
- ليه يا أمي...
- لأن الحياة حياة، مفيهاش فراق، فاكر ؟
- فاكر إيه يا أمي؟
- الأمارة...
- أه، الشال..
- هـو العلامـة يـا حبيبـي ...مـش هوصيـك اختـار الكـوم الصغـير، ولـو مفيـش كـوم خالـص يكـون أحسـن، أوعـى تشـغلك الصـور، قلـب مـن غـير حـب يبقـى خـراب، أوعـى يـا

حبيبي في يوم تدعي على حد ظلمك...
يقبل العمدة باكيا يد الزكية ..
متخفش يا عمده، مش هسيبك أبدا...
يدلف العمدة محطة قطار الأقصر بلا حقيبة بلا زاد، غير العصا السلم ذات الشعبتين ..عمامة سوداء، وثوب أبيض فضفاض وعمر طويل على كتفيه وأحزان أيام مضت وبين الحين والحين يمسح عبرة ساخنة ..
- أمجبل ولامبحر ياشيخ ؟
- مبحر، تذكرة مصر .....

« تمت بحمد الله »
محمد أحمد فرحات
ديسمبر ٢٠١٧
الشهداء

المحتويات

إهـــداء ٣

رجل الله..... ٥

«١» ٢٣

«٢» ٢٦

«٣» ٢٩

«٤» ٣٢

«٥» ٣٦

«٦» ٤٠

«٧» ٤٥

«٨» ٥٣

«٩» ٦٢

«١٠» ٦٩

«١١» ٧٦

«١٢» ٨٣

«١٣» ٩٤

«١٤» ١٠١
«١٥» ١٠٨
«١٦» ١١٣
«١٧» ١٢١
«١٨» ١٢٨
«١٩» ١٣٥
«٢٠» ١٤٢
«٢١» ١٥٠

***